٤

كشف الحق

في مسائل المعراج

العالم الرباني والحكيم الإلهي

السيد كاظم الحسيني الرشتي

تحقيق

أمير عسكري

إعداد وتقديم

راضي ناصر السلمان

مؤسسة البلاغ

موقع الأوحد
Awhad.com

كشف الحق
في مسائل المعراج

العالم الرباني والحكيم الإلهي

السيد كاظم الحسيني الرشتي

أعلى الله مقامه ١٢١٢هـ - ١٢٥٩هـ

إعداد وتقديم

راضي ناصر السلمان

تحقيق

أمير عسكري

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى ـ ١٤٢١ هـ

هوية الكتاب

اسم الكتاب : كشف الحق .
المؤلف : السيد كاظم الرشتي الحسيني « أعلى الله مقامه » .
تحقيق : الحاج أمير عسكري .
إعداد وتقديم : راضي ناصر السلمان .
الناشر : لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد قدس سره .
دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام ص . ب : ٤٥٩

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء ١ ـ ط٣ ـ المستودع : صغير ـ جانب فرن الأمراء
ص.ب : ٢٢٥٠ ـ ١١٠٧ ـ هاتف : ٠١/٥٥٢١١٩ ـ ٠٢/٥١٤٩٠٥ ـ بيروت لبنان

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين.

المسرح الإسلامي منذ ظهوره على المجتمع وهو حافل بالفن في مختلف أشكاله، حتى تخصصت مدارس فى كل علم سحرت العقول والأفئدة، خدمت المدرسة الإسلامية، والفكر الإسلامي، وأعطت أبعاداً نظرية وعلمية استفادت منها الأجيال على مرِّ العصور

و الذي سبَّب نمو الفن الفكري والفن العقلي والفن السياسيَ والاقتصادي والإجتماعي..... هو القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء ويحوي مختلف القوانين والأنظمة التى تضع الأطر العامة لكل فن وعلم.

ومن العلوم التي نبغ فيها الفكر الإسلامي؛ الفلسفة الإسلامية، منذ عهد الرسول الأعظم والأئمة عليهم الصلاة والسلام وصنعوا له الحدود الهيكلية التي يجب أن تسير عليها العقول البشرية إذا أرادت الوصول إلى الحقائق الإلهية والأسرار الربوبية، التي من خلالها نستطيع التعرف على أسرار الوجود والكائنات.

ولقد سارت الحضارة الإسلامية بفكرها الجبار تحمل في طيّاتها خمس مدارس فلسفية ؛ لكل مدرسة لها مأخذها ، ومنبعها الإستدلالي ، حتى خرجت في خضم تلك الأحداث مدرسة جديدة لها طريقة خاصة وذوق في طريقة الاستدلال وهو الإعتماد على النص والخطاب الإلهى ، والنص الصادر من جانب الحضرة الأحمدية وآله الطاهرين ، ووضع العقل تابعاً للرواية في التنظير في تلك النصوص ؛ لإبتكار وإبداع مختلف النظريات ، حتى ظهرت من آثار المدرسة التكاملية المحمدية الأوحدية نظرية جديدة خدمت الحضارة الإسلامية ، وأعطتها طابع الإبداع في سماء العلم والمعرفة .

فلهذا أتى هذا الكتاب معرِّفاً بعض اصطلاحات ومرادات هذه المدرسة ، لأنها لم تكن معهودة في المدارس الخمس السابقة .

ونحن نزفُّ هذا الكتاب إلى طالبي الحقيقة ، ولمن أراد معرفة بعض الخطوط العامة التى تأسست عليها هذه المدرسة ، ولمختلف الطبقات الإجتماعية المرتبطة بالحركة الحضارية الإسلامية .

ولا ننسى أن نشكر جناب الأخ الفاضل الشيخ راضي السلمان على تحمله العناء لتدقيق هذه الرسالة وعنونتها وإخراجها للناس لتقر أنظارهم وعقولهم وأفئدتهم .

لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد قدس سره

١٥ ربيع الأول ١٤٢١ هـ

مقدمة الإعداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على محمد وآله الطاهرين

منذ الأجيال السالفة، وعلى مرّ العصور المتعاقبة، تنوَّعت المدارس والاتجاهات الفكرية - على جميع الأصعدة - واختلفت أفكارها وعقائدها على ما اقتضته طبيعة العقل البشري المتفاوت بين الأشخاص والمجتمعات والشعوب.

فكان لكل مدرسة أو اتجاه قوانينه وأساليبه ومصطلحاته وطريقته في بلورة أفكاره لكي يخرجها بطابع يميِّزها عن غيرها من تلك المدارس والاتجاهات، حسب ما يتلاءم وظروف الزمان والمكان،وحسب مرونة الفكرة وتشعبها «وكلُّ إناء بالَّذي فيه ينضح».

فكلّ سار على شاكلته، وكلٌّ أدلى بدلوه. فأصاب أناس وأخطأ آخرون، ونبغت جماعات وتخبَّطت أُخَر، وخَلُدت مدارس واندثرت

أخرىٰ... وهكذا.

ومن تلك المدارس التي برزت وانتعشت وزاحمت ـ بكل عزم وثقة ـ أوائل تلك المدارس، في منتصف القرن الثالث عشر الهجري[١] مدرسة الشيخ الأعظم والعماد الأقوم، والنور الأتم والجامع الأعم، عزُّ الإسلام والمسلمين، ركن المؤمنين الممتحنين، آية الله في العالمين، مظهر الشريعة، وشارح الطريقة بسر الحقيقة، الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي ـ أعلى الله مقامه ـ الذي توحَّد في كل علم تكلم فيه، فكأنه مؤسسه وبانيه.

وما ذلك إلا لانقطاعه إلى الله والإعراض عن كلِّ ماسواه، حتى تمكن من أخذ العلوم عن معادنها وارتشافها من منابعها. حيث وصل إلى ملاقات سادة العباد وأركان البلاد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ في الرؤيا الصادقة والمنامات الصالحة، وتوجهت إليه العناية الإلهية، فتعلم منهم العلوم والأسرار، وأشرق من أفق قلبه مطالع الأنوار.

وليست تلك العلوم بمحض الرؤيا، فإنه إذا انتبه وجد دليله من الكتاب والسنة ومن بيان الأئمة. وكان يجمع بين ظواهر الأدلة وبواطنها، واطلع على جوامع العلوم، بالتوجه إلى الحي القيوم ببركة الإمام

---

(١) تميَّز القرن الثالث عشر الهجري بعدد من الحركات الفكرية عند الشيعة في العراق وإيران وغيرها، راجع كتب التاريخ.

المعصوم عليه السلام[١].

حتى اشتهر خبره ـ أعلى الله مقامه ـ وارتفع ذكره، وعلا قدره بين الناس، وحضره العلماء فرأوه بحراً موَّاجاً وتيَّاراً من العلم متلاطم، لايُساحل قعر علمه، ولايبلغ منتهى كنه فهمه، فأذعنت له العلماء، وخضعت له الحكماء في جميع أسفاره المعروفة[٢] فعظَّموه وبجَّلوه وأقرُّوا له بالفضل وحسن الحال، وعلى الخصوص أولئك الأفاضل العظام، والأكابر الفخام، الذين هم الرؤساء في الإسلام، اجتمعت كلمتهم واتفقت مقالتهم على جلاله وشأنه ونبالة مكانه.

فكان أن أجازه أعاظمهم من كبار علماء الطائفة منهم السيد الأجل السيد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم)، والسيد السند الميرزا مهدي الشهرستاني، والشيخ الأفخم الشيخ جعفر (كاشف الغطاء)، والشيخ الأجل الشيخ حسين آل عصفور، والسيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض)، والشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني وغيرهم[٣]، وله - أعلى الله مقامه - إجازات كثيرة من علماء كثيرين.[٤]

---

(١) نقلاً عن تلميذه السيد كاظم الرشتي في كتابه: «دليل المتحيرين» بتصرف واختصار.

(٢) راجع دليل المتحيرين، ص: ١٤ - ٥٢.

(٣) طبعت إجازاتهم في بغداد بتحقيق وتعليق الدكتور حسين محفوظ.

(٤) دليل المتحيرين، ص: ٦٥.

وليس مرادنا في هذه المقدِّمة سرد سيرة الشيخ - أعلى الله مقامه - لأن هذا مما تكفَّلته العديد من كتب التراجم، وكذا الكتب المستقلة التي كُتبت في تبيان سيرته - ﷺ -[1] ولكن أردنا من خلال ماذكرنا أن نقول:

إن العوامل التي تضمن الخلود لأي مدرسة أو أي اتجاه وتَتَعهد إبراز أسسها ومعتقداتها للأجيال المتعاقبه بحلل تتناسب مع متغيرات ومستحدثات كل زمن، وتحفظ جواهرها عن الوقوع بأيدي المحرفين والمغرضين والحاسدين - من أهم تلك العوامل - مايلي:

الأوَّل: التلامذة والمؤيِّدون.

فلا بد أن يكون لمؤسس تلك المدرسة تلامذة ومؤيّدون، ينهلون من نبع تلك العين - مباشرة - من كأس أستاذهم، ويجنون ثمار بساتينها بيد معلمهم، حتى يشربوا صافياً ويأكلوا شافياً. وحتى يتمكنوا من إيصالها - بكل قناعة وثقة - إلى الناس ويكشفوا عن خباياها وحقائقها لكل سائل، ومن ثمَّ يودعونها - بعد ذلك - لتلامذتهم والمقتدين بآثارهم والسالكين لطريقتهم، فيربونهم ليكونوا خير معين للوقوف - بقدم راسخة - أمام شائعات المغرضين، ومزيِّفات المحرِّفين، بحيث لايدعون لحاقد مطمعاً

---

(١) وإن أردت الإطلاع راجع ماذكره الشيخ نفسه في ترجمته لنفسه المطبوعة المسمَّاة (سيرة الشيخ أحمد الأحسائي) وكذلك ترجمته بقلم أبنه الشيخ عبدالله ﷺ وغيرها الكثير الكثير ذكر صاحب (أعلام هجر) قسماً كبيراً منها في كتابه ج: ١، ص: ١٤٤.

ولالطالب غامضاً.

وفي مدرسة شيخنا الأوحد ـ أعلى الله مقامه - فإنه سعى جاهداً في تجنيد الكثير من تلك النماذج، فقد تحمَّل أعباء التدريس فى المعقول والمنقول سنين طوالاً، وكانت له حوزات عامرة فى كلٍّ من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها من المدن الإيرانية، وفى الأحساء والبحرين وغيرها من مدن الخليج. وقد تخرج على يديه المئات من العلماء وأهل الفضل، ممن بلغوا الإجتهاد أكثر من مائة عالم عامل[١] وقد بلغت به الحال حدَّاً كان إذا هبط مدينة علمية تعطَّلت فيها الدورس والأبحاث وهرع حضَّارها إلى مجلس درسه ليستفيدوا منه[٢]

فطفق يُنهلهم مما استقاه من فيض علوم أهل بيت العصمة عليهم السلام، ويخرج لهم شراباً مختلفاً ألوانه مما غذَّوه وأطعموه، فخرَّجهم جهابذةً في أعالي درجات العلوم الظاهرية والباطنية والإحاطة بمعارف الشريعة والولاية وأسرار أهل بيت النبوة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان من عمدة أولئك وخواصّهم والمقرَّبين لديه ـ أعلى الله مقامه ـ السيد كاظم الرشتي والميرزا حسن الشهير بـ «گوهر» والملاَّ محمد

---

(١) الدين بين السائل والمجيب، ج: ١ ص: ١١٤.

(٢) كلمة أزهزار، ص: ١٦.

المعروف بـ«حجة الإسلام» المامقاني، وهم من الأرشدين الذين نشروا علومه، وروَّجوا آراءه في الحكمة، ومقامات أهل بيت العصمة عليهم السلام، ودافعوا عنه [١]، وتصدوا لكل من حاول تحريف آرائه أو تزييف معتقداته ـ أعلى الله مقامه ومقامهم أجمعين ـ والتزموا حذوه في الدرس والتدريس وواصلوا مسيرة خريجي مدرسة العقيدة والجهاد.

وهكذا فإن كل طالب للحق واليقين ومفتش عنه ـ في أي زمن كان ـ لابدّ أن يجد أدلاًء عليه منهم، فكل من تابعهم لا عن تعصب أو قبلية جاهلية؛ وإنما عن دراية وفحص وتنقيب مبيّن للتبر من التراب والحقيقة من السراب.

الثاني: الكتب والمصنفات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتب الرجل عنوان عقله، وبرهان فضله [٢]». لاشك أن الكتب من أبرز العوامل التي تساعد على تخليد أصحابها، وتتيح لأجيال القرون المتجددة الاطلاع على تلك الموروثات الثمينة التي يستكشف من خلالها الجيل الجديد مبتكرات وإنجازات المدارس والاتجاهات السالفة، وهي ـ إضافةً إلى ذلك ـ تسهل للباحث تقييمها ونقدها ومناقشة أطروحاتها والأخذ بالسمين منها وطرح الغث من

---

(١) الدين بين السائل والمجيب، ج: ١ ص: ١١٤.

(٢) الغرر والدرر، ميزان الحكمة، ج: ٨، ص: ٣٢٣.

بينها، لأنَّها المرآة الوحيدة بعد التلامذة ـ إن وجدوا ـ لعكس آراء وأفكار تلك المدارس.

ويمكننا تقسيم تلك الكتب إلى نوعين :

(١) **الكتب التأسيسية** : وهي التي تتكفل بعرض آراء وأفكار ومعتقدات تلك المدرسة بوضوح وسلاسة وبيان، مرسّخة كل المفاهيم التي اعتمدت عليها، ومثبتة جلَّ المصطلحات التي تكلمت بها، مع الإشارة إلى المناهج التي انتهجتها والأهداف التي ناشدت الوصول إليها، وكذلك لابدَّ من تسليط الضوء على أهم الأحداث التي مرَّت بها والمشاكل التي واجهتها ومن ثمَّ التدابير التي اتخذتها حيال تلك المشاكل، بالإضافة إلى التعرض ـ ولو بإيجاز ـ لسيرة أكابر مؤسسيها وأحوالهم.

(٢) **الكتب الدفاعية** : لاتخلو الإطروحات الجديدة والمبتكرات الحديثة على ساحة الفكر المزدحم بالمتنافسين من الهجوم المصحوب بالإنتقادات وإثارة الشبهات حولها، إما بقصد إسقاطها حسداً وبغضاً، أو بقصد كشف المبهمات والتعرف ـ عن كثب ـ على حقائقها. ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تهُبَّ جماعة من مؤسسي تلك المدرسة أو تلامذتهم للدفاع عنها وتزييف شبه الحاقدين وتبيين الحق وكشف الزيغ عن أعين الطالبين.

أما عن مدرسة شيخنا في هذا المجال ـ فحتماً ـ يمكننا القول إنه لايشق لها غبار ولاتنافسها الأغيار، وأبرز شاهد على ذلك أنَّنا نرى

عميد هذه المدرسة عاش خمساً وسبعين سنة قضى معظمها في تأليف الرسائل والإجابة عن مئات المسائل، والرد على مختلف الاعتراضات، وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة، والمفاهيم المغلوطة في كتب من عاصره ومن سبقه من علماء المعقول والمنقول، فخلَّف ثروة فكرية ضخمة ثروة شغلت الكثير من العلماء الفحول فى حياته وبعد وفاته وإلى يومنا هذا. وقد أحصي من تلك الآثار مايشتمل على (١١٥) رسالة، و (خمس خطب) و (٣٥) فائدة ومراسلة واحدة ومجموع سطورها (١٦٥٩٤٧) في (٣١) مجلداً، (١١) منها مفقود[١].

وكما ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار أن الكثير من آثاره قد فقدت، فهو لم يكن يحتفظ من الرسائل التي كان يبعثها بناء على طلب الأشخاص الذين يراسلونه. هذا فضلاً عن أن كتبه كانت تحفظ في دار تلميذه السيد كاظم، وكانت هذه الدار قد تعرضت للنهب مرَّتين[٢].

هذا ماتمكن أكثر الباحثين إحصاءه لزعيم المدرسة، أما عن مصنفات تلامذته والمؤيدين له فحدث ولاحرج، لأن أولئك المجاهدين قطعوا على أنفسهم عهداً بأن لايخلوَ جيلٌ من الأجيال أو فترة من الزمان من أوحد العصر، مقتفياً خطىٰ أسلافه وأساتذته درساً وتدريساً، تأليفاً وتصنيفاً، ردّاً ودفاعاً حتى يبقى مشعل هذه المدرسة وضّاءً إلى

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام: ج ٢، ٨٥و ٤٦٣.
(٢) مدرسة الشيخ الأحسائي ص ٧٢.

ماشاء سبحانه وتعالى.

من هنا تتجلى ـ بوضوح ـ أهمية هذه المدرسة بما أنجزته من عطاء ضخم وزخم هائل من مؤلفات أغنت بها المكتبة العربية وغيرها، وأمدتها بمصادر عديدة، وأوضحت كثيراً من الجوانب الفكرية، ليس لدى الفكر الشيعي فحسب بل لدى الفكر الإسلامي كلِّه.

ولكن لنتأمل قليلاً ونفتش في ماتحتويه مكتباتنا في يومنا الحاضر من كتب التراث القيمة، فهل سنجد من تلك الآثار مايعطي صورة متكاملة عن هذه المدرسة؟!

لا أظن أن الإجابة ستكون بـ «نعم»... بل وكأنَّ مكتباتنا قد تنكرت وتغافلت وتناست المجد الذي حضيت به بسبب تلك المؤلفات في زمن من الأزمان. وحتى إن وجدنا نزراً يسيراً منه يتداوله قلَّة من الباحثين، فلن نجد غالبيتها إلا مخطوطات قديمة؛ لعبت فيها عوامل الزمن حتى وكأن ثأراً اقتصته منها، وأمَّا الباقي فقد بقي رهينة مغيَّبة في سجون التراث التي لاترحم.

ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي أدَّى إلى ميل شمس هذه المدرسة إلى الغروب والأفول بعد عزها الذي دام سنين طوال. وقد أغرى هذا الحال المتردي الكثير من الحُسَّاد والحاقدين، فتجرَّؤ على أعلام هذه المدرسة بكيل الاتهامات واختراع الخزعبلات ـ التي لاتمت لهذه المدرسة بصلة ـ ونشروها بين الأوساط الفكرية مستغلين خفاء بعض حقائقها ومدَّعين أنهم نقلوها من كتب مخطوطة نادرة الوجود، حتى يضمنوا بذلك

ستر أكاذيبهم مدة أطول.

لهذا السبب صَعُبَ على طلاب الحقيقة تقصِّيها، بل آثر الكثير منهم تصديق تلك الافتراءات على أن يرجع إلى تلك المصادر، ويفتش في طيِّ المخطوطات البالية، التي تخلوا ـ عادة ـ من الفهارس والعناوين، وتتسم بحروف العصور القديمة؛ ذات الأشكال العجيبة والغريبة، التي قلَّما يفهمها أبناء هذا الجيل.

ولسنا في هذا المقام نبرر مواقف من كانوا ضد هذه المدرسة، وإنما نحن ـ فقط – نعرض أشكال التعذيب التي رواها لنا ـ شخصياً ـ الكثير من الشخصيات الحقة والباحثة عن الحقيقة ولاغير، من أساتذة وعلماء ومفكرين وقفوا حائرين ومطالبين بنصرة المظلوم، وكشف الأستار عن حقيقة أفكار وآراء تلك المدرسة التي كانت رائدة في الفكر الإسلامي يوماً ما.

ومن موقع الإحساس بالمسؤولية تجاه المظلومين، وإبرازاً لذلك المجد المتألق من جديد؛ تصدَّت بعض الجماعات والمؤسسات ـ مشكورةً ـ لإعادة طبع ونشر هذا التراث القيِّيم وجعله بين يدي متناول القرَّاء، وبحلل تنافس المطبوعات الحديثة، وبثوب يتيح للباحثين تقصي الحقائق الناصعة بكل يسر وسهولة.

وفي الآونة الأخيرة تصدت لهذا الأمر جماعة من المناضلين في هذا المجال، وهم القائمون في لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد ﷺ وفقهم الله ورعاهم للسير قدماً في تحقيق هذه المهمة العظيمة والصعبة في آن واحد.

ونحن في هذا العمل المتواضع نخرج للقرّاء الكرام وللباحثين زهرة من مصنفات أحد أقطاب هذه المدرسة المباركة، والتي شهدت له مؤلفاته ومصنفاته بولائه العميق وجهاده المرير في الدفاع عن الحق وأهله، والوقوف في وجوه الغاصبين، ألا وهو العالم الرباني، فخر الأكابر والأعاظم؛ السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ مقتطفةً من مجموعة رسائله.

وهذه الرسالة التي بين يديك ـ عزيزي القاريء ـ رسالة دفاعية عن عميد هذه المدرسة لعدة من المسائل التي دارت حولها شبهات بعض المشككين، وقد تصدى السيد لإحقاق الحق فيها وإزهاق الباطل، وتوضيح عدة نقاط مهمة لاغنى للباحثين عن حقائق المدرسة من الوقوف عندها بعين البصيرة والتفحص.

والجدير بالذكر هنا؛ أن هذه الرسالة ـ كشف الحق ـ قد طُبِعَت سابقاً على يد الوجيه أمير عسكري ـ حفظه الله ـ ولكن دون تنقيط أو تقطيع أو عنونة أو فهرسة، فأحببنا استدراك ذلك في طبعتنا هذه، وعملنا على إضافة بعض المصادر المهمة وبعض الملحوظات حتى يتكامل هذا العمل، ويصل إلى يدي القارىء العزيز بحلته الجديدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين

راضي ناصر السلمان

دمشق ١٥ / ٤ / ١٤٢٠ هـ

جوار السيدة زينب سلام الله عليها

الرسالة الموسومة بكشف الحق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين اما بعد فيقول العبد الجاني والاثم الفاني كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي ان مسئلة المعراج الجسماني الذي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج مما لا ينكرها الا الملحدون ولا يجحدها الا المعاندون وحيث كان الامر المعروف بين المسلمين ومنكرها كافرا بالبرهان ومحادا لله والرسول في دار الامان ومعرضا عن الروح الجسماني المعبر الذي به تنبأ نعلم وورد النكير بل تبطل غير المخالفين واضح وكشف عن حقيقته الواقع وتضح والجواب عن جميع الشبهات وزيف لديه اضحا الجهالات واثبت عروج البدن العنصري في جميع المعالات مولانا وانا ما وسيدنا ومعتمدنا ابو الله مقاما ورفع في الخلد امامه وانكسر مجوسيا نار وابو لهب الجاحد بنار سقر اصبحت بين واوضح وذكرنا فصح وفصل وشرح في موضع من رسالة وكتبه واجوبة المسائل وحيثما حتانه بحيث كان من مضى وحضر لديه شاهد وفي هذا المعراج عند من اجاب البدن ايضا فحضا ذكره الله تعالى شأنه وشرح الزيادة المنافقة عند قوله ما يزيغ البصر وما طغى والمراد بالمعراج الذي اسعد النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج بجسمه الشريف مع يافوخه الشريف الكيفية وبثيابه التي عليه ولم يمنعه ذلك عن اختراق السموات والحجب الانوار الملكوتية فمن الكافة الارضية ما كان يمنعه الشعر ولم يكن ليظل مع ان ثيابه عليه لا تصفها الماء في عظم نوره وكذلك هو اهل بيته الذين عصمهم ربهم وتنال ذلك المنال لو وضع ثقل الارض الذي ثقيل من الماء اواقل واكثر قليل كان الماء كدر الكدورة كثافة التراب او وضع ثقل التراب الذي اكثر في البحر المحيط بظهر الثقال التي اثر بل يكون وضعه ومحله البشرة البحر المحيط هو لو نظرت الى الثقال التي فوقه من البحر المحيط قبل المزج والاسماك ادركته كذلك انظر الان ايها المنصف الذي في صدر هذه الفوة فان عروجه انما كان بجسمه بل يجسده بل بكثافة تربته بل بثيابه التي كثفت من تربته الجسد وهل يكون تصعيد مع ذلك اللطائف اعظم واكثر من الماء فتدبر ما ذكرنا بالدليل القطعي والمثال الحسي وذكرنا بفضل الله وجوده وفي بعض فوائد الشرح جواب بعض السائل قال قال رسول الله نفسه الزكية ان ربي عرج بجسده الشريف وبثيابه الى المحيط كان من ربه قاب قوسين او ادنى وقد الكلام الذي قاله وجسمه الشريف الطف من كل ما انكرناه حتى بقفف الشعر ولا يظهر له ظل وبلج حتى بثيابه وصعد الله تعالى فاوحى اليه ما اوحى فانها صعدا ربا كما وقف في الشعر وليس بعالا يمنع كثافة تربته او تربته او وقف في الشعر ولا لطافة اذا خرق الحجب بلطافة كثافة تربته الى لطافة جسمه نورية بشرية انتهى وهذه الكلمات الشريفة يظهر بها الاولى الواضحة المقالة في المرء وذكرها بهم طيب الله نفسه وعطر رمسه تكشف بعض الاجوبة قال واما ان الجسم يدل الجزء الغير المتجزي فمما لا شك فيه والجزء الذي لا يتجزأ هو الجسم البسيط الذي لا يتركب من اجزاء اخر فلو جاز الجسم الجزء الذي لا يتجزأ لكان كل جسم من جميع الاكوار والاقمار من كل النبي صلى الله عليه وآله والائمة من ذريته الدنيا فانه صعد من الثقالة فيه بثيابه وبقاؤه بسيط وثبت العقل الكلي مقاما واضحا وفي العقل الكلي قاما فاجاد بجسمه وقوى بثيابه العقل الكلي في البلوغ الاولي بدل المتخاوف الكلام الحق قال وبرهان ذلك ذكره في علم الصفات بطلع عليه من يعرفه انتهى كلامه رفع الله مقامه وهذا الصحيح من غيره فانه بالغ في العروج الجسماني قال انه صلى الله عليه وآله فلما تجاوز عن ثيابه العقل الكلي بالجسد البشري وشاهد الكلمات في كتبه وعلمنا واجوبة المسائل اكثر من ان يحصى واعلم ان بعض فوائد الشرح قال الفاضل الجاهل العاند لا يكفي الفحشاء وهل يتوهم عاقل بعد ملاحظة هذه الكلمات مع هذه البيوت الشريفة والبقاع الاكوان نسبة الانكار اليه عطر الله برده المعراج الجسماني والبحث الجماني وكلا الا ان ينكر حسه ويفاد نفسه فالاولى ان نعرض عن جوابه ايتى ولكن لما كان مسئلة المعراج الجسماني وان كانت اظهر من محققة الابيض نهارا ومدولا فحققت ثلثة فوق حد الا ان بعض من ما ان يحققها والعوذ في بعلها

البكرة والاجنا والموائرة المستفطة عن البنا فمن اعتقد بخلاف ذلك فهو خارج عن دين الاسلام ومكذب لما جاء به سيد المرسلين
ومن قال ان على الامة خالفوا السنوا والاربعين فلا حظ له في الاسلام ولا هو في عداد المسلمين ومن قال انهم خالفوا باذن الله
وامره كالشريك المتصرف في الملك باذن الشريك الاخر او كالوكيل الفاعل باذن الموكل وامره او كالعبد الفاعل باذن المولى والسيد
فرتال بهذه المقالة وذان بهذا الاعتقاد فهو كافر بالله العظيم وخارج عن مذهب المسلمين واخبر به الله ثم منه ومن يقول بقوله فلا
اشك في كفرهم فانهم ملعونون على لسان داود وعيسى مريم وهو قول الصادق ثم من قال لم يخرجوا من امر الله فقد كفر لان الامر والاذن
على الاول بانه توحيد الله وبنفي الشريك له نعم وعلى الثاني والثالث يستلزم اغراء الخلق من الخلق ويستلزم التعطيل وضرورة
الدين قاضية على فساد كل ذلك على البعض والادلة العقلية والنقلية القطعية الدالة على بطلانه وكفر القائل به وانه شر اليهود
والنصارى لان الغلاة صغروا عظمة الله وكل من يدعي ان لاحد استقلالا او تفويضا بدون الله فهو كافر بالضرورة من دين جميع علمهم السلام
العلة الفاعلية بالمعنى الذي ذكرت لك كما هي الظاهرة المعروفة بين الخلق فانى برء الله ثم منه وابرء من يكفرهم واما الطالقاني هداه الله
وازاده ايمانا البخوزات ووضع الاصطلاحات وفصل معنى صحيح بطابق ظاهر الشرع الانور المعروف بين هذه الفرقة الناجية كما قال
عز وجل وانك لعلى خلق عظيم لانه وقال عز وجل احسن الخالقين وقد قال ثم ومخلقون افكا وكذلك ما في الروايات كانا نولنا عليك ايانا
فقد وقع فلا بد ان يحمل هذه الاطلاقات على المعنى الصحيح الذي بطابق ظاهر الشرع لا ضد وهذا العبد ان من الشارع قطع كما سمعت
من القرآن وعدم ارادته ما هو المعروف المتبادر من الفاظه الذي ذكرت قطعي ايضا فوجب الحمل على النجوز وانما الوجوه والاعتبارات في
كذلك يجب على المسلمين اعتقاد ان الله سبحانه غاير ذاته والعلم غير ذاته وانه نعم بعلم الاشياء كلها وجزئياتها وعلويها وسفليها وجميع
ذرات الكائنات بكمال التفصيل قبل وجودها وبعد وجودها ومع وجودها بلا تغير ومن انكر ذلك فهو كافر وبرء الله نعم منبرئة
الله ورسوله والائمة الطاهرين وكذلك يجب عليهم الاعتقاد بان رسول الله صلى الله عليه واله عرج بجسمه بل بجسده بل بكيانه
بتربيته المؤلفة من العناصر الاربعة ومعرجا به وصعد بها ذكر السموات حتى وصل الى العرش وبلغ الى المقام قاب قوسين او
ادنى ومن لم يعتقد ذلك برء الله نعم منه وكذا يجب عليهم الاعتقاد بان الخلق بعد الموت يعادون بابدانهم واجسامهم
الدنيا وبهذا العنصر نفسه بحيث لو وزنتها في الدنيا والاخرى لم تتفاوت قدر جزء حزل وبرء الله نعم ممن قال بغير هذا فكل من انكر شيئا
مما ذكر فهو كافر ملعون لعن الله قائله وعذبه بانواع العذاب ثم اني اعتقد واجزم واقول بلسان حالي ومقالي واركاني وسري
وعلانيتي ظاهرا وباطنا على ما عليه الفرقة المحقة هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب يعتريه وكل مذهب اعتقدا او قولا وفصلا يخالف ما عليه الفرقة
المحقة فذلك باطل فاسد كاسد ابرء الى الله وال رسوله والى الائمة الطاهرين من ذلك القول وجميع كلماته وافعاله واجزم بجميع
مصنفاتنا ومباحثاتنا واجوبتنا للسائل لا يخرج عما عليه الفرقة المحقة فاذا وجد فيها كلاما مشتبها او ما يخالف ما ذكرته فاردوه
الى المحكمات واردوه الى الحدود البينة ولا تقولوا من الفي الى السلام لست مؤمنا ولا تكونوا كما قال عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما يأتهم تأويله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى واعلم انى قد اعتذرت وليتذر
وبينت وفصلت واوضحت لم ارك الذي مقالا ولا لذي مجحضا ما بعد الاوبينا ان قولنا واسنادنا ما خالف المعروف بين
الفرقة المحقة فضلا عن المعروف بين المسلمين قد رشحته وذرته فمن شاء فليكفر ومن شاء فليؤمن والمرجع الى الله والمنفي عند الحساب والكر
لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد فرغ من نسخها مبيضتها عصر يوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة ١٣٠٠ والمأمول
من الحجة البيضاء على ما جوها الالف النجفية

الصفحة الأخيرة للمخطوطة

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه

هو السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد حبيب الحسيني أباً، والموسوي أمّاً، والرشتي مولداً، والكربلائي مسكناً ومدفناً.

بلدته ومولده

كان جدُّ السيد كاظم السيد أحمد وآباؤه من المدينة المنورة ورؤسائها وزعمائها وسادتها، وقد رحل عنها السيد أحمد بعد وفاة أبيه إلىٰ رشت لظهور مرض الطاعون، وتزوّج منها وولد له ولد أسماه السيد قاسم حتىٰ بلغ وتأهل ورزقه الله ولداً هو السيد كاظم عام ١٢١٢هـ.

مشائخه في الرواية

١ ـ أستاذه المولىٰ الأجل الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره المتوفىٰ عام ١٢٤١ هـ.

٢ـ المقدس المحدّث المبرور العلّامة السيد عبدالله شبّر قدس سره المتوفىٰ عام ١٢٤٢ هـ.

٣ـ العالم الرباني والفرد الصمداني الملا علي البرغاني قدس سره.

٤ـ العلّامة الكبير والفهّامة النحرير الشيخ موسىٰ بن أفقه الفقهاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفىٰ عام ١٢٤١ هـ.

تلامذته

١ ـ كاشف الحقائق القدسية للمقامات المحمدية الشيخ محمد بن ابي خمسين الأحسائي المتوفىٰ عام ١٣١٦ هـ.

٢ ـ الفرد الصمداني آية الله الحاج محمد خان الكرماني المتوفىٰ ١٢٨٨ هـ.

٣ـ العالم الرباني المولىٰ محمد شريف الكرماني.

٤ ـ الحكيم الصمداني الميرزا حسن بن المرحوم الحكيم ملا علي النوري.

٥ ـ المرحوم الحاج الميرزا محمد حسين حجة الاسلام التبريزي المتوفىٰ عام ١٣٠٣ هـ.

٦ ـ العظيم الشأن السيد محمد باقر الخراساني.

٧ ـ المقدس المبرور الميرزا شفيع ثقة الاسلام التبريزي.

وغيرهم الكثير من العلماء والحكماء قدس الله أسرارهم الذين لم نذكر اسماءهم مراعاةً للإختصار.

آثاره العلمية

مصنفاته عجيبة، فهي مملوءة بنور الحكمة، وجواهر المعرفة وحقائق الشريعة وأسرار الخلقة، فهي تربوا علىٰ المائتين والثلاثين مصنفاً، ذكر بعضها في كتابه دليل المتحيرين، منها:

١ ـ شرح الخطبة التطنجية، مجلدان.

٢ ـ اللوامع الحسينية، وهو في الحكمة الإلهية.

٣ ـ مجموعة رسائل وهو مجلدان يضم (٥٨ رسالة) من تصانيفه.

٤ ـ مطالع الأنوار.

٥ ـ شرح آية الكرسي، صنّفه وهو ابن عشرين سنة.

٦ ـ شرح علىٰ شرح الزيارة الجامعة لاستاذه الشيخ الأوحد.

٧ ـ الأربعون.

وغير ذلك من المصنفات في مختلف العلوم والفنون.

ما قيل في حقه

* قال في حقه استاذه الأجل الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: «ولدي كاظم يفهم وغيره لا يفهم».

* وقال في حقه السيد المرحوم محمود الآلوسي ـ مفتي بغداد وصاحب المقامات الآلوسية ـ: «إن كان السيد مبعوثاً في زمان يمكن

فيه بعث النبيين، وكان قد ادّعىٰ النبوة لكنت أول من آمن به، لأنَّ شرطها العلم والعمل والتقوىٰ والكرامة وكلّها موجودة فيه».

وفاته ومدفنه

توفي مسموماً من قِبل نجيب باشا ـ والي بغداد ـ وهو راجع من زيارة العسكريين إلىٰ الكاظمية، حيث استدعاه وسقاه قهوة مسمومة في ١١ ذي الحجة الحرام ١٢٥٩ هـ وعمره الشريف ٤٧ سنة، ودفن في الحرم المطهر تحت رجلي الأنصار في الحضرة الحسينية بكربلاء المقدسة... فقدس الله روحه الطاهرة.

كشف الحق

في مسائل المعراج

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

- وهو الكريم -

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه، محمَّد وآله الطاهرين.

أمَّا بعد: فيقول العبد الجاني، والأسير الفاني، كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي، إنَّ مسألة المعراج الجسماني لنبيِّنا ﷺ ممَّا لا ينكرها إلَّا الملحدون، ولا يجحدها إلَّا المعاندون، وهي من أركان الدين المعروف بين المسلمين، ومنكرها كافر على اليقين، ومخلَّد في النار أبد الآبدين.

وممَّن أصرَّ على وقوع العروج الجسماني الجسداني - حتَّى بثيابه ونعله ﷺ - وردَّ على المنكرين وأبطل شُبه المخالفين، وأوضح وكشف عن حقيقة الواقع، وشرح وأجاب عن جميع الشبهات، وزيَّف أدلَّة أصحاب الجهالات، وأثبت عروج الجسد الجسمي في جميع

المقالات[١]، مولانا وأستاذنا وسندنا ومعتمدنا[٢] ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه، وأسكنه بحبوحة جنانه، وأوصله إلى أعلى درجات رضوانه ـ حيث بيَّن وأوضح، وذكر فأفصح، وفصَّل وشرح في غير موضع من رسائله وكتبه وأجوبته للمسائل وسائر مباحثاته، بحيث كلٌّ من سمع منه وحضر لديه صار وقوع هذا المعراج عنده من أجلى البديهيَّات وأبين البيِّنات.

(١) الحالات (ن: أ).

(٢) الشيخ الأوحد أحمد الأحسائي ـ أعلى الله مقامه ـ المولود سنة ١١٦٦ هـ والمتوفي سنة ١٢٤١ هـ.

[تصريحات الشيخ الأوحد قدس سره بالعروج الجسماني]

فما ذكره ـ أعلى الله مقامه ـ ما في شرح الزيارة الجامعة عند قوله عليه السلام: (مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ) إلى أن قال قدس سره: «ولهذا صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج بجسمه الشريف، مع ما فيه من البشريَّة الكثيفة وبثيابه التي عليه، ولم يمنعه ذلك عن اختراق السماوات والحجب ـ حجب الأنوار ـ لقلَّة ما فيه من الكثافة، ألا تراه يقف في الشمس ولا يكون له ظلٌّ مع أنَّ ثيابه عليه، لاضمحلالها في عظيم نوريَّته، وكذلك حكم أهل بيته الثلاثة عشر المعصومين (صلى الله عليهم أجمعين).

ومثال ذلك: أنَّك لو وضعت مثقالاً من التراب في مثقال من الماء ـ أو أقلُّ أو أكثر بقليل ـ كان الماء كدراً لكدورة كثافة التراب، ولو وضعت مثقال التراب المذكور في البحر المحيط لم يظهر لمثقال التراب أثر، بل يكون وضعه وعدمه بالنسبة إلى البحر المحيط سواء، نعم لو نظرت إلى مثقال التراب في قدره من البحر المحيط قبل تموُّجه واستهلاكه أدركته كذلك»[1].

---

(١) شرح الزيارة الجامعة، ج: ٣، ص: ١٢٩، سطر: ١٦.

انظر الآن أيُّها المنصف المتديِّن في صراحة هذا القول في أنَّ عروجه ﷺ إنّما كان بجسمه، بل بجسده، بل بكثافة بشريَّته، بل بثيابه التي هي أكثر من بشريَّة الجسد، وهل يكون تصريح في المقام أعظم وأكثر من ذلك؟! ثمَّ قارن ما ذكره بالدليل القطعي والمثال الحسِّي.

وذكر أيضاً ـ أعلى الله رتبته، ورفع في عليِّين منزلته ـ في جواب بعض المسائل، قال ـ قدَّس الله نفسه الزكيَّة ـ: «إنَّ رسول الله عرج بجسده الشريف وعليه ثيابه إلى الحجب، حتَّى كان من ربِّه قاب قوسين أو أدنى ـ وساق الكلام إلى أن قال ﷺ ـ وجسمه الشريف ألطف من كلِّ ما ذكرنا، حتىٰ يقف في الشمس ولا يظهر له ظلٌّ وعليه ثيابه، وصعد إلى ما وراء الحجب وعليه ثيابه، فإنَّه ما صعد عارياً، كما وقف في الشمس وليس بعارٍ، ولا تمنع كثافة ثيابه نوريَّته إذا وقف في الشمس ولا لطافته إذا خرق الحجب بقلَّة كثافة ثيابه، إذا نسبتها إلى لطافة جسمه ونوريَّته» انتهى.

وهذه الكلمات الشريفة أيضاً صريحة الدلالة واضحة المقالة في المدَّعى، وذكر أيضاً ـ طيَّب الله نفسه، وعُطِّرت رمسه ـ في بعض الأجوبة قال: «وأمَّا أنَّ الجسم يدرك المجردات بغير توسط شيء، والمجرَّدات يدرك الجسمانيَّات بغير توسُّط شيء، فالوجه أنَّ الجسم في الجنَّة صاف عن جميع الأكدار والأعراض، كمثل جسد النبي والأئمَّة ـ عليه وعليهم السلام ـ في هذه الدنيا، فإنَّه صعد به إلى قاب قوسين أو أدنى، و (قاب قوسين) هو رتبة العقل الكلِّي، ومقام (أو أدنى) فوق العقل الكلِّي، فإذا

تجاوز بجسمه فوق مرتبة العقل الكلِّي فبالطريق الأولى يدرك المعاني ـ وساق الكلام إلى أن قال ـ وبرهان ذلك مذكور في علم الصناعة يطَّلع عليه من يعرفه» انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

وهذا أصرح من غيره، فإنَّه بالغ في العروج الجسدي حتَّى قال: إنَّه ﷺ تجاوز عن رتبة العقل الكلِّي بالجسد البشري، ومثل هذه الكلمات في كتبه ورسائله وأجوبته[1] للمسائل أكثر من أن يحصى، وأعلى من أن يستقصى، تركناها خوفاً للإطالة وأنَّ العاقل تكفيه الإشارة والجاهل المعاند لا يكتفي بألف عبارة، وهل يتوهَّم عاقل بعد ملاحظة هذه الكلمات ـ مع هذه التصريحات الشديدة، والمبالغات الأكيدة ـ نسبة الإنكار إليه ـ عطَّر الله تربته ـ للمعراج الجسماني والجسداني؟! حاشا وكلَّا، إلَّا أن ينكر حسَّه ويعاند نفسه، فالإعراض عنه أولى والسكوت عن جوابه أليق.

[تساؤلات حول العروج الجسماني ... ؟ !]

ولكن لما كان مسألة المعراج الجسماني وإن كانت واقعة متحقَّقة لا يستريبه أحد ولا يشكُّ في تحقُّقه مؤمن موحِّد، إلَّا أنَّ تصويرها وتحقيقها، والغور في معانيها ومبانيها، وكشف السرِّ عن حقائق أسرارها، مع اختلاف العلماء في الخرق والإلتئام، واتفاق الحكماء على نفيها

(١) شرح العرشية، ج: ٢، ص: ٣٠١، سطر: ٧.

واستلزام العروج الجسماني ذلك، وما ورد أنَّ الصَّلاة وسائر العبادات إنَّما شُرِّعت ليلة المعراج، مع أنَّ النبي ﷺ كان يصلِّي قبل المعراج ويعبد الله! وإنَّ المعراج كان بعد بعثته بسنتين أو بسبع على الإختلاف [١]. وما ورد أنَّ رسول الله ﷺ رأى الأنبياء كل نبي في سماء من السماوات[٢]، مع ما ثبت بضرورة المذهب أنَّ الأنبياء ـ بل كلُّ مؤمن ـ في الجنَّة! وأنَّ جنَّة الدنيا وراء جبل قاف في مدينة جابلقا وجابرسا أو في وادي السلام، وأنَّ الجنَّة فوق السماوات السبع في الكرسي، كما روي أنَّ الجنان سقفها عرش الرحمان[٣]. وما ورد أنَّه ﷺ صلَّى بالأنبياء في البيت المقدَّس[٤]، وأيُّ صلاة كانت هذه؟ ويُشعر بعض الروايات أنها صلاة الظهر، مع أنَّه ﷺ صعد في الليل ورجع في الليل، فأين موضع صلاة الظهر؟!

وروي أيضاً أنَّه ﷺ لمَّا وصل إلى العرش أتاه النداء من العلي الأعلى: يا محمَّد أدن بالصاد وتوضَّأ[٥] لصلاة الظهر. وروي أنَّ جبرئيل عليه السلام خاطبه وقال: يا محمَّد لقد وطأت موطأً ما وطأه قبلك أحد، لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، قف فإنَّ ربَّك يصلِّي، قال ﷺ: وكيف

---

(١) تفسير القمي، ج: ١ ص: ٣٦٨.

(٢) بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٢٨٣ و ٢٩٩.

(٣) بحار الأنوار، ج: ٤٣، ص: ٣٠٣.

(٤) بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٣٦.

(٥) بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٣٦٢.

يصلِّي ؟ قال: يقول: سبُّوح قدُّوس، أنا ربُّ الملائكة والروح[١]. مع ما ورد أنَّ جبرئيل عليه السلام تخلَّف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الوقوف وقبل تشرُّفه بكلام الله الملك العلَّام ومناجات الربِّ معه صلى الله عليه وآله وسلم[٢] ! وأنَّ الأذان والإقامة إنَّما شُرِّعا في السماء الرابعة في تلك الليلة[٣]، مع أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قبل المعراج كان يصلِّي ويؤذِّن ويقيم قطعاً !.

وأنَّ هذا الصعود هل كان في الزمان، أو في دهر الزَّمان؟ والدَّهر أيُّ شيء؟ وما حقيقتهما وسرعة هذه الحركات وقطع تلك الحقائق والذوات ما علَّتها وما سببها؟ وإن كان الله سبحانه يفعل ما يشاء كما شاء بما يشاء كيف يشاء؛ لكنَّه سبحانه ما يفعل إلَّا لحكمة ولا يجري فعله إلَّا بسبب، كما نطق بذلك فصيح لسان الوحي: «أبى الله أن يجري الأشياء إلَّا بأسبابها»[٤].

والحاصل: هذه المسألة تحقيقها وتنقيحها قد تصعب على العلماء الفحول، من أهل المعقول والمنقول، ممَّن له قدم راسخ في العلم، فجرت عادة العلماء الماهرين والفضلاء الكاملين بالبحث عن حقيقتها، والسؤال عن ماهيِّتها، والتوفيق بين الإختلافات الواقعة فيها، والتحقيق عن هدم القواعد الكثيرة فيها، لصعوبة مسلكها ودقَّة مأخذها.

---

(١) بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٣٠٦.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٣١٦.

(٣) بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٢٠.

(٤) الكافي، ج: ١، ص: ١٨٣ وبحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٩٠

[ملجأ السائلين]

ولمَّا كان مولانا وأُستادنا هو المنهل لعطاشى الهائمين في فلوات أمثال هذه المشكلات، والعلم لإرشاد السائرين المتحيِّرين في تبيه أشباه هذه المعضلات، والكوكب الدرِّي لإضاءة قلوب أهل الشبهات، والشهاب الثاقب لرجم شياطين الشكوك والخيالات. توجَّهت إلى نحو جنابه ركائب السؤالات، وأناخت بفناء عزِّه مطايا الطلبات، إذ لم تجد سواه بعد ساداته ملاذاً، ولم تعثر على غيره بعد مواليه في هذه الأزمان لجمع المسائل معاذاً. فبقيَّة العلماء الأعلام ذو مهارة في فنون وعلوم عظام، يسألونه عن مسائل صعبة مستعصبة تكلُّ دونها الأفهام وتقصر عن إدراكها الأحلام، وكان يجيب ﷺ كلَّ أحدٍ على قدره واضعاً كلّ شيء في موضعه، فيتكلَّم مع كلِّ أحد بلسانه ولغته جرياً على عادة ساداته ومواليه، كما قالوا عليهم السلام: «إنَّا لا نخاطب الناس إلَّا على ما يعرفون»[1]. وقالوا أيضاً عليهم السلام - مامعناه - «لو زدتم في السؤال حرفاً واحداً لزدنا في الجواب حرفاً واحداً».

[المصطلحات العلمائية]

ولمَّا كانت اصطلاحات العلماء في فنون العلوم مختلفة لا تشبه الأُخرى، وهي المعروفة عند أهل الأُصول بالعرف الخاص، وكلُّ صاحب

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص ٣٨٣ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وفي: فصل الخطاب، ص: ٣٧.

فنٌ وعلم إنَّما سؤاله على مقتضى اصطلاحه ولغته، وقد يخالف اللغة وقد لا يخالف إلَّا أنَّه ليس مشهوراً في اللغة، أو أنَّها مشهورة في اللغة لكن معنى منها اشتهر عند العوام والبواقي بقيت مشتهرة عند طائفة مخصوصة، كالجسد فإنَّه في اللغة يستعمل لمعان كثيرة كما ذكره الجوهري في الصِّحاح[١] والفيروزآبادي في القاموس[٢]، وغيرهما مثل صاحب مجمع البحرين[٣] وغيره، من أنَّ الجسد يطلق على: الدم اليابس، وعلى الزعفران، وعلى الصورة والهيئة، وعلى البدن المعروف للإنسان، وعلى الملائكة والجنِّ، وعلى الفلزَّات السبعة، وغيرها ممَّا هو مذكور في كتب اللغة، وليس المشهور منها عند العوام إلَّا بدن الإنسان بصورته ومادَّته.

وبالجملة: اختلاف العرف والاصطلاحات وجهات المعاني اللغويَّة في المشتركات والمنقولات والمجازات وغيرها، ممَّا لا يستريبه من له أدنى مسكة في العلم وأدنى فطنة في الفقه، وكما أنَّ الإصطلاحات مختلفة واللغات متفاوتة تختصّ طائفة ببعضها دون الأُخرى، كذلك المعاني والمطالب تختلف بالدقّة والغموض والظهور والخفاء، وليست العلوم كلُّها على نهج واحد ضرورة. إنَّ بعض المطالب والمعاني يعرفها كلُّ عامِّي، وكثير منها يقصر عنها الفطن الزَّكي الألمعي اللّوذعي. وكذلك الأشخاص

---

(١) الصحاح، ج: ١، ص: ٤٥٣.

(٢) القاموس المحيط، ج: ١، ص: ٢٩٣.

(٣) مجمع البحرين، ص: ١٩١.

السائلون، مختلفون في شدَّة الذكاء والدِّقة وعدمها ووسط الأمر بينهما مع اختلاف الاصطلاحات، فإذا تكثَّرت جهات الإختلافات ـ كما سمعت ـ وهؤلاء على اختلاف مراتبهم، وتفاوت مقاماتهم، وتباين اصطلاحاتهم ولغاتهم، سألوا مولانا وأُستاذنا في فنون شتَّى من غوامض العلوم وخفايا المكتوم.

[لكل مقام مقال]

ولمَّا وجب على المجيب أن ينظر إلى السائل ومقامه واصطلاحه ودقَّة نظره وصفاء فكره، وهو ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ قد كان محيطاً بجميع الإصطلاحات ودقائق العلوم المخفيَّات، وأنواع الإشارات والتلويحات في طي العبارات، وأداء الكلام بلحن المقال وشهادة الحال، وبالعيان والمثال وبالنظر والإستدلال، وبالإختصار في مقام وفي الآخر شرح حقيقة الحال، وذلك ببركة انقطاعه وانقياده لمحمَّد وآله المفضال، عليهم سلام الله بالغدوّ والآصال.

ولمَّا كان الأمر كذلك اختلفت كلماته وعباراته وبياناته بالنسبة إلى مسألة واحدة، مراعاةً لمقام السائل وحاله، فأجمل في مقام وفصَّل في مقام، وأشار بخفِّي الإشارة في مقام وأتىٰ بصريح العبارة في مقام، وأجرى على اصطلاح طائفة في مقام وعلى اصطلاح آخرين ـ في تلك المسألة ـ في مقام، كما هو طريقة ساداته ومواليه سلام الله عليهم، ولذا ترى اختلاف كلماتهم وحاشاهم عن الإختلافات.

ولذا ترى الإمام عليه السلام أجاب في مرسلة ابن أبي عمير في الكُرِّ بأنَّه ألف ومائتا رطل[١]، وأجاب محمَّد بن مسلم الطحَّان بأنَّه ستمائة رطل[٢]، والمقصود في الجميع واحد، إلَّا أنَّ ابن أبي عمير لمَّا كان عراقيَّاً يحمل جوابه عليه السلام على اصطلاح أهل العراق في الرطل، ومحمّد بن مسلم لمَّا كان من أهل الطائف أجابه على اصطلاحه، فلمَّا كان الرطل المكِّي رطلي العراقي فيكون المقصود واحداً[٣]، والجاهل بالأمر اذا نظر إلى الحديثين يرى بينهما اختلافاً وتناقضاً وليس كذلك، وكذلك الشيعة المخلصون والمؤمنون الممتحنون يقتفون آثار أئمَّتهم ـ سلام الله عليهم ـ ويتأدَّبون بآدابهم وينهجون منهجهم، حتَّى هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فاستلانوا من أحاديثهم ما أستوعر على غيرهم، واستأنسوا بما استوحش منه المكذِّبون وأباه المسرفون، أولئك أتباع العلماء حقّاً.

فلذا اختلفت عبارات شيخنا وأستاذنا جرياً على طريقة ساداته عليهم السلام، على حسب اقتضاء المقام، والمعنى في الكلِّ واحد لا اختلاف فيه أبداً بوجه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ١، ص: ١٢٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج: ١، ج: ١٢٤.

(٣) راجع مختلف الشيعة، ج: ١، ص: ١٨٦.

[ميزان أقوال الشيخ الأوحد ﷺ]

ولمَّا علم ـ أعلى الله شأنه ـ جهل الناس وعدم سعة دائرتهم، وعدم اقتدارهم للجمع والتوفيق وملاحظة العلوم من النقطة، التي قال أمير المؤمنين عليه السلام، «العلم نقطة كثَّرها الجاهلون [١]»، جعل لهم ميزاناً وهو: أنَّ كلَّ مذهب واعتقاد وقول وفعل يخالف ما عليه الفرقة المحقَّة فهو باطل عاطل فاسد وزور، يجب الإعراض عنه. وكلّ ما هو يوافق ما هو المعروف بين الفرقة المحقَّة فهو الحقّ الذي لا محيص عنه، فوجب الأخذ له والديانة به، لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تزال طائفة من أُمَّتي على الحق حتَّى تقوم الساعة»[٢] وليس أُولئك إلَّا الشيعة بالأدلَّة القاطعة من العقل والنقل.

فإذا خالف قول ما عليه الفرقة الناجية بأجمعهم يلزم إمَّا أن لا يكونوا على الحق، أو يكون ذلك القول باطلاً. والأوَّل باطل للنص النبوي والإجماع، فثبت الثاني. فإذا وجدتم شيئاً من كلامي على حسب ما هو المتفاهم عند الفرقة المحقَّة فاجعلوه أصلاً محكماً، وما لم تعرفوا على وجه المطابقة فاعلموا أنَّه إن صحَّ أنَّه من كلامي لم يخالف ما عليه الفرقة قطٌّ، ولا يختلف كلماتي أبداً، فاجعلوه من المتشابهات وردُّوا علمهُ إليَّ.

ونصَّ بذلك في أغلب رسائله، حتَّى في يزد أمر واحداً أن يصعد

---

(١) عوالي اللئالي، ج: ٤، ص: ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٥١، ص: ٨٨. وأيضاً في عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٦٢.

المنبر ويُعلم الناس بما ذكر، ويقول: إنِّي بريء من كلِّ قول ومذهب يخالف ما عليه الفرقة الناجية وكلماتي تبعاً لكلمات ساداتي عليهم السلام مختلفة الألفاظ متَّفقة المراد، إلَّا أنَّهم ـ سلام الله عليهم ـ ربما يقولون بالتقيَّة، وأمَّا شيخنا فلا موجب له للتقيَّة، فليس إلَّا اختلاف مقام السائل كما ذكرنا، وهذه هي الديانة التي يجب أن يكون المؤمن عليها.

[كشف السرّ الخفي في المعراج]

ومن هذه الجهة قد سألهُ العالم النحرير المتتبِّع للعلوم والمطَّلع على الإصطلاحات والرسوم، أعني جناب الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي، سأل مولانا عن حقيقة السرِّ المخفي في المعراج، وكيفيَّة صعوده على فرض عدم بطلان الخرق والإلتئام، أو لا يمكن اثبات العروج الجسمي إلَّا بالقول ببطلان الخرق والإلتئام، ودقيق الأمر في ذلك. وكيفيَّة رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء عليهم السلام في كلِّ سماء، وسرُّ اختصاص تلك السماء بذلك النبي دون غيره، ومعنى صلاة الظهر ووقوعه في الليل ومعنى صلاة الرب. وغير ذلك من الأحوال. أراد منه رحمه الله كلَّ ذلك بلسان أهل الحقيقة والعلماء الماهرون، لا على حسب متفاهم العوام، فإنَّه لا يسمن ولا يغني من جوع فأجاب ـ قدَّس الله نفسه الزكيَّة، وحشرني الله معه، لأنَّه مع ساداته العترة العليَّة، عليهم سلام من رب البريَّة ـ قد أجاد فيما أفاد، وقد تكلَّم بمكنون العلم ومخزون السرِّ لمن يفهم الكلام.

قال: «إنَّ حقيقة المعراج هو العروج على ظاهره، ولا جهل فيه وإنَّما الجهل في معرفة جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي معرفة الأفاعيل الإلهيَّة، وفي معرفة الخرق والإلتئام، فنقول:

[معرفة جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

اعلم: أنَّ الله سبحانه خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة جسم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام[1]، والفاضل إذا أُطلق في الأخبار وفي عبارات العارفين بالأسرار يراد به الشعاع، وهو واحد من سبعين،مثلاً جسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرص الشمس، وقلوب شيعتهم خلقوا من الشعاع الواقع على الأرض من قرص الشمس، فإذا عرفت هذا عرفت أنَّه يصعد بجسمه ولا يكون خرق ولا التئام.

بقي شيء: وهو أنَّا نقول الجسم هو كذلك، ولكنَّه لبس الصورة البشريَّة التي تحسُّ، وهي متجسِّدة وحكمها حكم سائر الأجسام الجماديَّة، والصعود بها يلزم منه الخرق والإلتئام.

ونجيب: بأنَّ الصُّورة البشريَّة عند إرادة صعوده يجوز فيها احتمالان، هما في الواقع سواء، وفي الظاهر الأوَّل أبعد من العقول، والثاني أقرب.

فالأوَّل: أنَّ الصاعد كلَّما صعد ألقى منه عند كلِّ رتبة منها مثلاً، فإذا أراد تجاوز الهواء ألقى ما فيه من الهواء فيها، وإذا أراد تجاوز كرة النار ألقى ما فيه منها فيها، وإذا رجع أخذ ماله من كرة النار، فإذا وصل الهواء أخذ ماله من الهواء. ولا يقال على هذا: يلزم أنَّ هذا قول بعروج الروح خاصَّة، لأنَّه

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٣٩.

إذا ألقى ما فيه عند كلِّ رتبة لم يصل إلَّا الروح، لأنّا نقول: إنَّا لو قلنا بذلك فالمراد أعراض ذلك، لأنَّ ذوات ذلك لو ألقاها بطلت بنيته، وبنيته باقية لا تنفك، وإنَّما مرادنا الجسم بالنسبة إلى عالم الكون، وإلَّا فهو على ما هو عليه من التجسَّد والتخطيط.

والثاني: أنَّ الصورة البشريَّة ـ التي هي المقدار والتخطيط ـ تابعة للجسم في لطافته وكثافته، فإنَّ الملك مثل جبرئيل، إذا رجع في صورة البشر كصورة دحية بن خليفة الكلبي يخرج بقدر دحية، مع أنَّه يملاء ما بين الأرض والسماء، ولو شاء مرَّ في ثقب الإبرة وأصغر، لأنَّ الأجسام اللَّطيفة النورانيَّة تكون بحكم الأرواح ولا تزاحم فيها ولا تضايق. ولهذا يبلغ المعصوم عليه السلام من مشرق الدنيا إلى مغربها في أقل من طرفة عين[1] ولا يستغربه السامع، وهذا هو ذلك بعينه فافهم.

[معرفة الأفاعيل الإلهية]

وأمَّا معرفة الأفاعيل الإلهيَّة، فلأنَّه إنَّما توهم من توهَّم أنَّ العلم على وضع واحد، لو اختلَّ اختل النظام، فإذا خرق حصل حال مروره فرجة بالجناس الأجزاء المختلفة، فإذا وقف وقف جميع الفلك على أنَّه لا فرجة فيها ولا يمكن تخلُّل أجزائه ولا تلزُّزها، فأين تذهب تلك الأجزاء المفروضة؟ ومع هذا كلِّه فيلزم فساد النظام. والإلتئام إنَّما يكون بانبساط

(١) بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٣٦.

الأجزاء إلى الفرجة، ولا يكون ذلك إلَّا مع التخلُّل والترفُّق ولا يمكن فيه ذلك، وأمثال ذلك. وهذا جارٍ على حسب أفاعيل العباد، وأمَّا أفاعيل الإلهيَّة ـ على تقدير تسليم امتناع الخرق والإلتئام، فنقول ـ على ظاهرة العبارة ـ:

إنَّ الأجزاء التي بقدر جسمه الشريف حال عروجه فُنيت في بقاء جسمه، كما فُنيت الحبال والعصيُّ في جسم عصى موسى. وكان جسمه الشريف قائماً مقامها في إمداد العالم السفلي من أحكام الحياة في سماء الدنيا، والفكر في الثانية، والخيال في الثالثة، والوجود في الرابعة، والوهم في الخامسة، والعلم في السادسة، والعقل في السابعة، والسرمد في الثامنة، والتسخير والتقدير في التاسعة، بحيث لا تفقد قوَّة منها. لأنَّ جسده هو علَّة في هذه الأسباب فهو أقوى منها قطعاً، وكلَّما تعدَّى شيئاً رجع ما فتر منه، بحيث لا يحصل خرق ولا التئام، ويكون سيره في ذلك كلِّه موازياً للخطوط الخارجة عن مركز العالم إلى المحيط بها في كلِّ ذلك، فيدور معها على التوالي، ولو قلنا أنَّه يسير على خطٍّ مستقيم جاز، وكان ما اعترضه من الأجزاء التي يكون اصطفافها بالنسبة إلى خط مسيره مستقيم صوريَّاً، يكون مستهلكاً في بقائه وعائداً بعد تجاوزه كما مرَّ على حدٍّ واحد.

ولمَّا كان جسده الشريف علَّة لوجود جميع الأجساد، وجسمه علَّة لجميع الأجسام، كان محيطاً بجميعها، فلا يكون منها جزءاً إلا وهو محيطٌ

به فكان ﷺ في عروجه محيطاً لجميع الأجسام والأرواح والنفوس والعقول، لأنَّ عقله علَّة العقول، وروحه علَّة الأرواح، ونفسه علَّة النفوس، إحاطة المنير بالأشعة. فمرَّ في عروجه بكلِّ شيء ورأى كلَّ شيء، كُلّاً في رتبته، لأنَّ من غلب عليه الوهم رآه في السماء الخامسة، ومن غلب عليه العلم رآه في السماء السادسة، ومن غلب عليه العقل رآه في السماء السابعة.

[معنى صلاة الظهر]

ومعنى صلاته بالملائكة صلاة الظهر، وهو إنَّما عرج بالليل! لأنَّ عروجه على سمت بدء الوجود، والشمس قائمة على قمّة الرأس في التاسع عشر من برج الحمل والسرطان طالع الدنيا، فأوَّل ما تحرَّك الفلك وجب فرض الظهر، فهو أوَّل فريضة، وهو أوَّل صلاة صلَّاها.

فإن قُلْتَ: كيف تكون هذه أوَّل صلاة صلَّاها وهو إنَّما عرج إلى السماء بعد النبوَّة بسنتين؟.

قُلْت: هذا في الزَّمان، والتي صلَّاها ليلة المعراج في الدهر، وذلك قبل خلق الأجسام بألفي عام. وليلة المعراج عرج ﷺ في الزمان بجسده، وفي الدهر بجسمه، وفي السرمد بروحه، بعروج واحد. وصلَّى بالملائكة في الدهر، وأسبغ الوضوء من صاد وهو بحر تحت العرش، وعروجه إنَّما كان في الليل بجسده. وأمَّا في جسمه الشريف فهو في النهار

قبل الزوال بقليل قدر ألفي عام.

واعلم: أنَّ هذا الجواب ممَّا لا يمكن بيانه لكلِّ أحد، ومن يجوز البيان له لا يكفي له ما ذكر، بل لابدَّ من المشافهة. لأنَّ الفرق بين الزَّمان والدهر ممَّا انسدَّ بابه عن فحول العلماء، وإنْ عبَّروا عنه بعبارة مأثورة عن الوحي، ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون»[1] انتهى.

(١) جوامع الكلم، ج: ١، ص: ١٢٧، سطر: ١٦.

[تعقيب وايضاح]

هذا آخر ما أردنا نقله عن كلامه ـ زاد الله في إكرامه، وبسط عليه من عوائد جوده وإنعامه ـ وهذه الكلمات الشريفة مشتملة على دقائق العلوم الغامضة، وخفايا المسائل الدقيقة المعضلة المختلفة المتراكمة، بل كلُّ عبارة إشارة إلى حقيقة لطيفة علم من العلوم، التي قلَّ من عثر عليها الماهرون الكاملون فيها، فما ظنُّك بالمتوسِّطين، فضلاً عن القاصرين، فضلاً عن الَّذين ما طرقت أسماعهم ولا وعتها أفهامهم وقلوبهم، بل ربَّما ما سمعوا أسمائها ولم يروا منارها وأعلامها.

وجميع هذه العبارات إجمالات خالية من التفصيل، وإشارات إلى علوم ومعارف خفيَّة عارية عن التصريح بكثير ولا قليل، صوناً لها عن أصحاب القال والقيل، وحفظاً لها عن التغيير والتبديل، وامتثالاً للنص الوارد في صريح التنزيل ﴿إِنَّ الله يَأمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[1]، واقتداء لكلام النبي ﷺ النبيل الجليل «لا تمنعوا الحكمة من أهلها

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

فتظلموهم»[1] لكون السائل أهلاً لدقائق خفايا التأويل، ومع هذا كلّه قال في آخر الكلام: «إنَّ هذا الجواب ممَّا لا يمكن بيانه لكلِّ أحد، والذي يجوز له البيان لا يكفي ما ذكر، بل لابدَّ من المشافهة» وهذا الكلام منه عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن تذكَّر واستبصر.

(١) بحار الأنوار، ج: ٧٧، ص: ١٨١ وأيضاً في الكافي، ج: ١، باب بذل العلم.

[العلوم اللاّزمة للإحاطة بعبارات الشيخ قدس سره]

ثمَّ إنَّ هذه العبارات لا يحيط بها ولا يعرفها كما ينبغي إلَّا أن يكون عالماً محيطاً بدقائق علوم شتى.

[الأوَّل] منها: علم الصناعة

لتوليد المولود الفلسفي الذي يهزم الصفوف ولا يكترث بالألوف، وقد سمَّاه أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ بأخت النبوَّة وعصمة المروَّة، الماء الجامد والهواء الراكد، والأرض السائلة والنار الحائلة[1]، صاحب الأوصاف المتناقضة المضادة. ويعرفه من جهة العلم التحقيقي عن بصيرة ويقين، وربط كلِّ شيء، بكل شيء واستخراج ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الناس يعلمون ظاهرها وأنا أعلم ظاهرها وباطنها**»[2] وقد قالوا عليهم السلام: «**نحن العلماء وشيعتنا المتعلِّمون**»[3].

لا معرفة العمل المحض، فإنَّه لا يسمن ولا يغني من جوع في المعارف الإلهيَّة والأسرار الربانيَّة، وهو قول أُستاذنا ـ أعلى الله مقامه ـ فيما

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٨. وايضاً في المناقب ج: ٢، ص: ٥٢.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٨. وايضاً في المناقب ج: ٢، ص: ٥٢.

(٣) بحار الأنوار، ج: ١، ص: ١٨٦. وأيضا في ج: ١، ص: ١٩٤.

نقلنا عنه سابقاً في العروج الجسماني، وأنَّه ﷺ بجسمه صعد إلى مقام قاب قوسين أو أدنى قال: «إنَّ برهان ما ذكرنا مذكور في علم الصناعة، يطَّلع عليه من يعرفه» وهو أعظم ماله مدخليَّة في هذا الباب.

[الثاني] منها: علم الهندسة

لمعرفة الأشكال والنسب، وضبط الحدود والمقادير، ومعرفة الأجسام التعليميَّة والأجساد التعليميَّة، ونسبها وقراناتها وأوضاعها وكيفيَّاتها وكميَّاتها وجهاتها ومراتبها وسائر حدودها وهيأتها، والصور والأشكال الحاصلة من تلك القرانات والإضافات، ومعرفة أنَّها كلَّها هيئات صوريَّة لا جواهر ماديَّة، كما قال عليه السلام على ما رواه ثقة الإسلام في الكافي، في تفسير الشبح: «أنَّه ظلُّ النور، وأنَّ الأشباح أبدان نورانيَّة لا أرواح لها»[1].

وجهل الناس بهذا العلم أوقعهم في كثير من الهلكات، وظنُّوا بمن ساحة عزِّه منزَّهة عمَّا توهموه من الظنون والخيالات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2].

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢. وكذلك روي عن أبي جعفر عليه السلام في بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٥ و ٤٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

[الثالث] منها: علم الهيئة للأفلاك

ومعرفة نسبها وأوضاعها ومقادير حركتها، والإصطلاحات التي يستعملونَ أهل العلم، ألا ترى كيف ذكره ـ طيَّب الله مضجعه ـ: «ويكون سيره في ذلك كلِّه موازياً للخطوط الخارجة عن مركز العالم إلى المحيط بها في كلِّ ذلك، فيدور معها على التوالي... الخ» وكذلك معرفة القطب والمحور والقطر والوتر والمركز والدائرة والقوس، ونسبة كلِّ واحد منها إلى الآخر، وضبط تفاوت تلك النسب ومقاديرها، والفضل بين النسب. وهو قول مولانا الصادق عليه السلام، على ما رواه ثقة الإسلام في روضة الكافي، عن عبدالرحمن بن سيَّابة عنه عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: «أفتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله، قال: أفتدري كم بين الزهرة والقمر من دقيقة؟ قلت: لا، قال: أفتدري كم بين الشمس والسنبلة من دقيقة؟ قلت: لا والله ما سمعته من أحد من المنجِّمين قطّ، قال عليه السلام: أفتدري كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة؟ قلت: لا والله ما سمعته من منجِّم قطّ، قال عليه السلام: ما بين كلِّ واحد منهما إلى صاحبه ستين أو تسعين[1] دقيقة، ثمَّ قال عليه السلام: يا عبدالرحمن، هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف عدد القصبة التي في وسط الأجمة، وعدد ما عن يمينها، وعدد ما عن يسارها، وعدد ما خلفها، وعدد ما في أمامها، حتَّى لا

---

(١) ستون أو سبعون ـ نقلاً عن المصدر.

يخفى عليه من قصب الأجمة شيء واحد...»[١].

وهذا هو ضبط النسب الفلكيَّة على ما فصَّلت لك ممَّا ذكرت من الحديث الشريف، وتلك القصبة هي قصبة الياقوت المتمة بأربعة عشر عقداً، والأجمة أجمة اللَّاهوت، وما أمامها رتبة الوجود المطلق، وما خلفها رتبة الوجود المقيَّد، وما خلفها الظلال المعكوسة والظلمات المدلهمَّة ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[٢].

فإذا عرف العالم هذه الدقائق، عرف بعد ذلك نسبة جسد النبي المختار وأهل بيته الأطهار ـ عليه وعليهم سلام الله بالعشيِّ والأبكار مع فلك الدوَّار ـ و بذلك يظهر له حلُّ العبارة بلطيف الإشارة، فافهم.

و [الرابع] منها: معرفة علم النجوم

وكينونة الكواكب الثوابت والسيَّارات، وما لها ومنها وإليها، وعنها وفيها ولديها، وكيفيَّة تركيبها، وضبط مقادير أمزجتها وألوانها ونظراتها وقراناتها وآثارها، وأنَّ كينونتها بُنيت وأُخذت من اللطافة أم من الكثافة؟ فإن كانت من الأُولى: فما بالها تدرك بالأبصار دون الهواء والنار؟! مع أنَّها فوقهما، والطفرة في الوجود باطلة على ما برهن في العلم الطبيعي. وإن

---

(١) روضة الكافي، ص: ١٩٥، ح: ٢٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

كانت من الثانية: فيلزم ما أجمعوا على بطلانه من الطفرة، ومعرفة حقيقة الأمر في ذلك.

وبذلك يظهر حكم لطافة جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع أنَّ الأبصار تدركه والحواس تحسُّه، ولا يمنعه ذلك من أن يكون ألطف وأصفى من الأفلاك والسماوات، وكذلك معرفة نسب الكواكب وخواصِّها. ألا تراه ذكر ـ أعلى الله مقامه ـ أنَّ «السماء الدنيا سماء الحياة، والثانية سماء الفكر، والثالثة سماء الخيال، والرابعة سماء الوجود الثاني، والخامسة سماء الوهم، والسادسة سماء العلم، والسابعة سماء العقل، والثامنة سماء الصور والتقدير، والتاسعة سماء التسخير» وهذه الخواص والنسب ـ أيضاً ـ ما سمعها المنجِّمون فضلاً عن أن يعرفوها، إلَّا أنَّ المطَّلع لحلي الاصطلاح يمكن له تفهيم الكلام، إذ لم يعاند ولو بالوجوه المختلفة.

ألا تراه ـ أعلى الله شأنه، ورفع في الخلد مكانته ومكانه ـ ذكر «أنَّ سيره صلى الله عليه وآله وسلم كان في بدو الوجود، والشمس قائمة على قمّة الرأس في التاسع عشر من برج الحمل، وكان طالع الدنيا سرطان» وهذا لفظ الحديث الوارد عن مولانا الرضا عليه السلام لمَّا سأله ذو الرئاستين عن تقدُّم الليل على النهار، فأجاب عليه السلام كما سمعت. وقد صعب هذا الحديث الشريف على المنجِّمين، لأنَّه على خلاف قواعدهم المقرَّرة، وإلى الآن ما رأيت أحداً حلَّ مغلاقه على نهج البصيرة، وأنَّى لمنجِّم معرفة الأسرار المطويَّة في طيِّ إشارات أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم.

فإذا عجز أهل العلم وأهل الإصطلاح والماهر في الفنِّ عن معرفة هذه الدقائق، فغيرهم - ولعمري - أعجز وأعجز وأعجز.

و [الخامس] منها: علم الطبيعي

لمعرفة الأجسام الطبيعيَّة وكيفيَّة تركيبها، وأُصولها وفروعها، وذاتيَّتها وعرضيَّتها، والفرق بينها وبين الأجسام التعليميَّة والأجساد التعليميَّة، وأنّ الجسم المحسوس المرئي ما هو؟ وفي أصل خلقته أي شيء؟ وهل هو مركَّب من الهيولى والصورة أو من الأجزاء التي لا تتجزَّى؟ أو من الأجزاء الصغار الصلبة، كما ذهب إليه (ذي مقراطيس) الحكيم. أو هو الصورة الجوهريَّة؟ أو غير ذلك.

وكيف يختلف الجسم باللَّطافة والكثافة الذَّاتيتين؟ وما معناهما وحقيقتهما؟ وما الفرق بينهما وبين العرضيتين؟ وما الفرق بين آثارهما ومقتضياتهما وأحوالهما؟ وهل جسم النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كان لطيفاً في هذه الدنيا أو كثيفاً؟ وعلى التقديرين ذاتيَّاً كان أم عرضيَّاً؟ وهذه الأبحاث كلُّها مبرهنة في العلم الطبيعي، وما وقع في العبارة الشريفة إشارة إلى تلك المباحث الدقيقة والمطالب الخفيَّة.

و [السادس] منها: العلم الإلهي بالمعنى الأعم

- على مصطلحهم - ليعرف حقيقة العقل والنفس والروح، وآثارها

ومقتضياتها، وأصل انبعاثها وتكوُّنها وتذوُّتها، وتحقيق قاعدة إمكان الأشرف وبطلان الطفرة، وإيجاد السلسة الطوليَّة والعرضيَّة والفرق بينهما، ومعنى الصعود والنزول، والعروج والهبوط، مع قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ المسَبِّحُونَ﴾[1]. ألا تراه قال: «وجسمه صلى الله عليه وآله علَّة الأجسام، وروحه علَّة الأرواح، ونفسه علَّة النفوس، وعقله علَّة العقول».

ويعرف حقيقة العلَّة والمعلول، وأنَّ العلَّة على كم معنى تطلق؟ وكم وجه منها يراد؟ ومعرفة شرائطها ومتمِّماتها ومكمِّلاتها وأقسامها ونسبتها مع المعلول، ويعرف معنى التقدُّم والتأخُّر، والقبليَّة والبعديَّة وأقسامها ومعانيها، ويعرف الدَّهر والزَّمان والسَّرمد، والنسبة بين هذه الثلاثة، واحكامها ولوازمها ومقتضياتها، وتقدُّم بعضها على بعض، وتأخُّر بعضها عن بعض. ألا تراه ـ أعلى الله مقامه ـ قال: «عرج بجسده في الزمان في الليل، وبجسمه في الدهر وبروحه في السرمد. وذلك قبل الزوال بقليل مقدار ألفي عام».

ومعرفة العام والسِّنين في عالم الغيب، مع أنَّه ليس هناك طلوع ولا غروب، ولا ليل ولا نهار، ولا ساعات ولا دقائق، فكيف كان خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام، أو بأربعة آلاف عام ـ على اختلاف الروايات ـ[2]؟! وما معنى أنَّ قلوب المؤمنين خُلقوا من شعاع جسم

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١ و ٣٢.

محمَّد ﷺ ؟ ما معنى الشعاع وما معنى المنير؟ وما معنى الخلقة؟ وما معنى الإنخلاق؟ وفي كلِّ مقام من هذه المقامات للعلماء الأعلام بحث طويل، وهذه المباحث هي أصعب ما يرد على العلماء الفحول من أهل المعقول، الَّذين قصروا نظرهم إلى المنقول، ويريدون وزن هذا بذاك، ووزن ذلك بهذا، وأمَّا الَّذين قصروا نظرهم إلى المعقول وما لا حظوا الوزن، وإن كانوا في تعب شديد في تحقيق هذه المطالب وتبيين هذه المقاصد، إلَّا أنَّ أمرهم أسهل وخطبهم أهون.

وكان لمولانا الأُستاد ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ مباحث شريفة مستخرجة من دقائق كلمات أهل بيت العصمة والطهارة في هذا الشأن، ما عثر عليها أهل الشأن من أهل الشأن، وربَّما لا يعرفونها إذا أُلقيت عليهم، فما ظنُّك بالجهَّال من أهل الشنآن، وأُولي البغضاء والعدوان.

[السابع] منها: علم الإلهي، بالمعنى الأخصّ

على مصطلحهم، وعلى مصطلحنا المأخوذ عن أئمَّتنا الأعلام «عليهم سلام الله الكامل التام» وهو العلم المعاني والبيان لقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] وقال مولانا

(١) سورة الرحمن، الآيات: ١ ـ ٤.

الباقر عليه السلام لجابر: «عليك بالبيان والمعاني»، فقال جابر: وما البيان والمعاني؟ قال عليه السلام: «**أمَّا البيان: فهو أن تعرف أنَّ الله واحد ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً. وأمَّا المعاني: فنحن معانيه ونحن علمه...**»[١].

ليعرف التوحيد في مراتبه الأربع المشهورة بين العلماء. وأمَّا ما عندنا فمراتبه خمسة آلاف ومائتان وثمانون مرتبة، كما ذكرناها في رسالة منفردة.

وفي توحيد الصفات: يعرف الفرق بين الصفات الذاتيَّة والصفات الفعليَّة، ويعرف معنى صفات الفعليَّة، وإنَّها هل هي حادثة ـ كما هو عند الشيعة ـ أم قديمة؟ وما معنى حدوثها وتوصيف القديم بها؟ وأنَّ الفاعل والخالق والرازق والمحيي والمميت من الصفات الذاتيَّة أو الفعليَّة؟ وهل فرق بين العلَّة والفاعل أم لا؟ وعلى فرض كون الفاعل من الصفات الفعليَّة، كما صرَّح به العلَّامة المجلسي قدس سره في كتابه الفارسي، الموضوع للعوام المسمَّى بحقِّ اليقين[٢]. وعدم الفرق بين العلَّة والفاعل والخالق، ما موصوف هذه الصفات إن كان الموصوف هو الفعل، كما هو مقتضى ما أجمعوا عليه من صفات الأفعال، والصِّفات الفعليَّة ما نسبتها إلى الفعل دون الذات؟

---

(١) صحيفة الأبرار: القسم الثاني، ص: ١٥٦، في باب معجزات مولانا السجاد عليه السلام عن العوالم.

(٢) حقُّ اليقين، ص: ١٤٠.

فإن كان الأمر كذلك فكيف يوصف الله سبحانه بها فيقال: الله الخالق الرازق، ولا يقال الفعل الخالق الرازق، كما هو مقتضى نسبة كلِّ صفة إلى موصوفها؟ وإن كان الموصوف هو الذات البحت، فما معنى القول بأنَّها صفات الأفعال؟ فكيف يصحّ القول بحدوثها؟ لإستلزام ذلك أن يكون القديم سبحانه محلّاً للحوادث، وبصحَّة سلب تلك الصفات وإثباتها، يلزم التغيير ضرورة مغايرة حالتي النفي والإثبات والوجود والعدم.

وهل هذه الصفات الفعليَّة جواهر أم أعراض ـ بعد فرض حدوثها ـ؟ فإن كانت أعراضاً فأين الجوهر الذي يتقوَّم به؟ فإن كانت هو الذات يلزم أن يكون سبحانه محلّاً للحوادث، وإن كان هو الفعل، وهو أيضاً جوهر أم عرض؟ وعلى الثاني ـ كما هو المشهور المحقَّق عندهم ـ بأي شيء يقوم الفعل؟ فيقولون أنَّه أمر اعتباري، فيكون الصفات الفعليَّة ـ على هذا المذهب السَّخيف ـ كلُّها اعتباريَّات، ولا يرضى به جاهل فضلاً عن فاضل.

فإذا كان الفعل جوهراً فهو حادث أو قديم، والثاني: باطل بالضرورة، والأوَّل: خُلق قبل الصفات الفعليَّة أم بعد الصفات الفعليَّة؟ فإن كان الثاني: بطل كونه موصوفاً ضرورة، تقدُّم الموصوف على الصفة وتأخُّرها عنه، وإن كان الأوَّل: فكان الفعل أوَّل المخلوقات والحوادث. ثمَّ بعده الصفات الفعليَّة ثاني المخلوقات والحوادث، فعلى هذا فكيف تنسب هذه الصفات إلى الله القديم جلَّ شأنه؟ وكيف التوفيق بين هذا وبين

ما تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار ـ عليهم سلام الله الملك الجبَّار ـ من أنَّ أوَّل الحوادث والكائنات النور المحمَّدي صلى الله عليه وآله ولم يسبقه شيء من المخلوقات والذوات والصفات[١]، وقد انعقد على ذلك إجماع المسلمين من المخالف والموافق، بل وضرورة الإسلام أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله أوَّل ما خلق الله[٢]، وما معنى ما ورد في الزيارة المشهورة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السَّلام على اسم الله الرضي ونوره المضيء**»[٣] والزيارة متواترة لا شكَّ فيها ولا ريب يعتريها.

وتنقيح هذه المطالب، وتبيين هذه المقاصد إنَّما هو في ذلك العلم الغريب العجيب، ومن هناك يظهر معنى قوله ـ أعلى الله مقامه ـ: «جسمه علَّة الأجسام، وروحه علَّة الأرواح... إلخ» وحاشا أن يكون خالقٌ سوى الله سبحانه ﴿**اللهُ الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيءٍ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٤].

وبالجملة: حقيقة المطلب وشرح الأمر والمقصد يجري على اصطلاحات أهل ذلك العلم. ولا يعرف هذه المسألة إلَّا بعد الإطلاع بدقائقه وحقائقه وأسراره ولطائفه، ولا يكفي معرفة بعض

---

(١) بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢٢. وكذلك فيه ج: ٥٤، ص: ٣٣٦.

(٣) بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣٧٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٠.

المسائل الظاهريَّة أيضاً.

و [الثامن] منها: علم التوليد والضمِّ والإستنساج والتفريق والإنفصال.

الذي هو وجه عظيم من علم الطب، ولم يشتهر عندهم، ولم يعثروا عليه إلَّا طائفة قليلة من أهل البصيرة والمعرفة النورانيَّة،وبه تعرف حقيقة السمن والهزل، والكبر والصغر، والتكبير والتصغير، والنمو والذبول، وتولَّد الآثار من النسب والإضافات، وإنَّ هذه الأُمور هل هي بزيادة أجزاء في الشيء ونقصانها؟ أو باعتبار الهيئة والعوارض، لا لأجزاء وإنَّما يتصادم الطبائع وغلبة بعضها على بعض، وانبساط الأجزاء والتزازها وضمِّ بعضها ببعض، وهل يجب حينئذ تداخل أجزاء أُخر تخلخل في الأجزاء الأصليَّة عند الإنبساط ـ وهي المسمَّاة بالأجزاء الفضليَّة ـ أم لا؟ وكيف يتصوَّر إلقاء شيء عن شيء وأخذه عنه؟ وهل علَّة الإيجاد والكثافة نفس الأعراض والإضافات والهيئات أم لا؟ بل مع ذلك أجزاء خارجيَّة.

وهل الذوبان والإنجماد ممَّا يغيِّر الشيء عن حقيقته أم لا؟ بل هو هو والأحكام الجارية عليه، وهل هما لا يحصلان إلَّا بتغيُّر الصورة النوعيَّة والشخصيَّة المتعارفة، بحيث يفرق العرف بين الحالتين فرقاً بيِّناً أم خفيَّاً؟ أم لا يُفرِّقون؟ بل التفاوت إنَّما هو أمر مخفي لا تبتنى عليه الأحكام العرفيَّة ولا الإطلاقات اللغويّة والأوامر والنواهي الشرعيَّة.

وهذه مباحث شريفة ومطالب منيفة دقيقة، تنقيحها وبيانها وشرحها وذكر أدلَّتها مفصَّلة في ذلك العلم، فمن عرف هذا العلم يظهر له معنى قول مولانا وأستادنا المرحوم ـ أسبغ الله عليه النوال، وحشره مع محمَّد وآله، صلَّى الله عليه وآله أجمعين: «ألقى ما فيه من الهواء وما فيه من النار فيها، وإذا رجع أخذ كلَّ ما ألقى في كلِّ رتبة».

ويعرف أنَّ هذه الإلقاء والأخذ ليس على ما يعرفون وعلى ما يظنُّون، لأنَّ الكلام جرى على اصطلاح العلماء العارفين الماهرين الكاملين، ويظهر له معنى قوله ﷺ في التمثيل لجبرائيل[1] إذا ظهر بصورة دحية بن خليفة الكلبي، وأنَّه يملأ ما بين السماء والأرض، وأنَّه يمرُّ من ثقب الإبرة بل أصغر ولا ينقص منه شيىء ولا يزيد، وإنَّما تبدل أعراضه وصوره وهيئاته لا غير ذلك.

و [التاسع] منها: علم الأحكام النفس الأمريَّة

وهذا علم لن يعثر عليه العلماء ولم يطَّلع عليه الحكماء، نعم قد استخرجه مولانا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ من إشارات كلام الله المجيد، وتلويحات الروايات، وهذه الأحكام غير الأحكام الواقعيَّة وغير الأحكام الذهنيَّة، وإنَّما هي أحكام ثابتة في الورقة السفلى من

(١) بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٢٢٣؛ وسفينة البحار، ج: ١، ص: ٤٤١.

اللوح المحفوظ في مقام لوح المحو والإثبات، ولهذا العلم مسائل كثيرة وفروع غير عديدة، أشرنا إلى جملة منها في شرحنا على الخطبة التطنجيَّة فلا نعيد هٰهنا.

ويظهر منها تبدُّل الصور واختلاف الهيئات من حين كونه نطفة، وخلعها ولبس صورة العَلَقة، وخلعها ولبس صورة المضغة وخلعها ولبس صورة البشرية حال الجنين و خلعها ولبس صورة الدنياويَّة، وهكذا من العظام والصبا والمراهقة والبلوغ والتمام والكمال والشيخوخية والهرم والضعف والموت والرمم والبعث، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر ويرفع الموانع التي هي سبب تأسيس حكم العرضي، فاختلاف الأحكام إنَّما هو بالهيئات المختلفة، وذلك بالإقتضاءات الخارجيَّة والداخليَّة، فكلُّ شيء في كلِّ حال دائماً يلقى شيئاً ويأخذ شيئاً وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1] وليس الملقى داخلاً في حقيقة الشيء ولا المأخوذ إلَّا ما كان من باب الواقعي، لا النفس الأمري، وبذلك يظهر معنى قوله ـ أعلى الله مقامه ـ «ألقى ما فيه من الهواء في رتبة، وألقى ما فيه من النار فيها».

ويظهر معنى لطافة جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجسد الأئمَّة عليهم السلام، وكون تلك الأجساد الشريفة في أعلى مراتب الإعتدال والإستقامة، وأنَّها في هذه الدنيا أصفى وأعدل من أجسام أهل الجنَّة فيها، مع ما يعتريهم من أنواع الأعراض والآلام والموت والقتل وأمثال ذلك.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٤.

وهذه المباحث لا تُعرف إلَّا بالفرق بين أحكام النفس الأمريَّة والأحكام الواقعيَّة، وتحقيقها إنَّما يُعرف في ذلك العلم الشريف والبحث اللَّطيف، وأغلب الناس ـ كما سمعت ـ ما سمعوا هذا العلم ومباحثه فضلاً عن إدراك دقائقه وحقائقه، ومفتاح هذه العبارة إنَّما هو في هذا العلم.

و [العاشر] منها: علم التطبيق والتوفيق

بين العوالم والأناسي الثلاثة: الإنسان الكبير والوسيط والصغير، وأغلب العلماء لم يعثروا على دقائق هذا العلم وحقائقه، والذي عثر على بعض مقاماته ما استوفى الكلام في تنقيحه وتهذيبه، وأصله ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام[1]:

وتزعم أنَّك جرمٌ صغيرٌ ... وفيك أنطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

وقال أيضاً عليه السلام: «الصورة الإنسانيَّة أكبر حجَّة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجمع صور العالمين، وهي المختصر من اللَّوح المحفوظ...»[2]، رواه الديلمي في الدرر والغرر نقلت بعض معناه، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ

---

(١) الكتاب المبين، ج: ٢، ص: ٩٦، عن الصافي.

(٢) الكتاب المبين، ج: ٢، ص: ٩٦. من كشكول الشيخ الأوحد قدس سره.

﴿الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٢]، وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٣]، وغيرها من الآيات والروايات المؤيَّدة البراهين القطعيَّة، والمعتضدة بالأدلَّة العقليَّة، كما هو معلوم عند أُولي الفطنة الزكيَّة والبصيرة القويَّة.

وفي هذا العلم يظهر كيفيَّة الانطباق العالم بما فيه، من المجرَّدات والماديَّات، والعلويَّات والسفليَّات، والأفلاك والعناصر، والمواليد والحركات، والكائنات والجواهر القارَّة وغير القارَّة، والأعراض والصور، والهيئات واللوازم، والمتمِّمات والمكمِّلات والشرائط، وتمكين القابليَّات وظهور المقبولات، والعرش والكرسي والسماوات، والبحار والأشجار والبرّاري والفلوات، والأنبياء والرسل والشرور والخيرات، والفروع والأصول والأنوار والظلمات، وما استجنَّ في غيب الكائنات، وما استسرَّ من دقائق الخفيَّات والزَّمنيَّات والدهريَّات والسرمديَّات، وأحكام الحركات[٤] والإستدارات، وعجائب ما استودع في الإمكان من غرائب النسمات، وما خلق في الإمكان والعين خالق البريَّات، وكل ذلك وجميع التفاصيل والأحوال.

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٤) وأوضاع (ظ).

مع كل ذلك يعرف انطباقها مع الحقيقة الإنسانيَّة في الوسيط والصغير، وبذلك يظهر أجساد الدنيويَّة والزمانيَّة، والعنصريّة والهورقلويَّة، والبرزخيَّة والأُخرويَّة، وإنَّ هذه الأجساد ليس كما توَّهمه النَّاس بل هي أعراض كل ما جعله الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الإنسان، لتتميم الجامعيَّة وإظهار الكامليَّة. ويظهر لك بالتوضيح معنى الإلقاء والأخذ كما ذكره ـ أعلى الله مقامه ـ بما لا ينافي ظاهر ما عليه عامَّة الناس بقدر الشعرة.

ولهذا العلم مسائل كثيرة وفروع غير حديدة، يعثر عليها العارف المتتبع، ويغفل عنها الجاهل المتكاسل، ولمولانا ـ أعلى الله رتبته، ورفع في فسح الجنان منزلته ـ في هذا العلم استخراج وكنوز أسرار لم يعثر عليها دقائق الأفهام، واستنباطات حقائق علوم أنوار تعجز عنها العقول والأحلام، وهذه العبارات الشَّريفة لا يصحُّ مغلاقها إلَّا بذلك المفتاح التام، إنَّ في ذلك لعبرة لأُلي الأبصار والأفهام.

و [الحادي عشر] منها: علم الموازين

أي ميزان المطالب بالمشاعر، وميزان المشاعر بالأدلَّة، وميزان الأدلَّة بالميزان القويم والقسطاس المستقيم، ومن جهة الجهل بهذه الموازين ظهر الخلل العظيم في الأفهام والإدراكات، إذ ما كلُّ مطلب يدرك بكلِّ مشعر، ولا كلُّ مشعر يدرك كلَّ مطلب.

ألا ترى أنَّك بالبصر لا تدرك الأصوات، وبالسمع لا تدرك الألوان، وباللَّمس لا تدرك الطعوم، وبالذوق لا تدرك الروائح، وكذلك الحواس الباطنيَّة. فإنَّ المتخيَّلات لا تدرك بالقوَّة الفكريَّة، والبرزخيَّات لا تدرك بالقوَّة المتخيَّلة، والمتوهَّمات لا تدرك بالقوَّة المتصرّفة، والمتصرَّفات لا تدرك بالقوَّة المتخيِّلة العاقلة، وكذلك مطالب ومقاصد لا تدرك بهذه القوى ـ أي: الدماغيَّة ـ وإنَّما هو بالنفس الناطقة القدسيَّة، وكذلك أيضا مطالب لا تدرك بها، فإنَّها تدرك بالقلب وأركانه، وكلُّ ركن مخصوص بإدراك مطالب لا يشمل الركن الآخر.

وأركان القلب أربعة: الرُّكن الأيمن الأعلى، وهو ينبوع النور الأبيض الذي منه البياض ومنه ضوء النهار. والرُّكن الأيمن الأسفل، وهو ينبوع النور الأصفر التي منه اصفرَّت الصفرة. والرُّكن الأيسر الأعلى، وفيه النور الأخضر التي منه اخضرَّت الخضرة. والرُّكن الأيسر الأسفل، الذي فيه ينبوع النور الأحمر الذي منه احمرَّت الحمرة. وكل واحدة من هذه الأركان مخزن علوم ومطالب لا تُدرك ولا تُعرف بالركن الآخر، ولا ينال أحد شيئاً منها إلَّا في كلٍّ منها، فمن طلبها في غير موضعها لم يعثر عليها، كمن طلب إدراك الأصوات بالبصر وإدراك الألوان بالسمع، وهكذا سائر المشاعر.

هنا ـ أيضاً ـ مطالب ومقاصد أُخر لا يدركها القلب بأركانها، وإنَّما يدركها الفؤاد بمراتبه ومقاماته، منها ما يدركه في مقام الكلمة التامَّة والرحمة العامَّة والكلمة العليا، الذي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي

أكلها كلَّ حين بإذن ربِّها.

ومنها ما يدركه في مرتبة الحروف العاليات، والصور المكنونات والمخزونات، والسحاب المزجى المثار من شجرة البحر بأنحاء التطوُّرات، وهو المعنى من قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[1].

ومنها ما تدركه في مقام الألف الليِّنة واللَّطيفة الحقيقة والسريرة الإلهيَّة والنفس اللَّاهوتيَّة.

ومنها ما تدركه في مقام النقطة البسيطة من السرِّ المعمَّى والرمز المتمَّم، معدن علوم إلهيَّته ومخزن أسرار ربوبيَّته، وينبوع متمِّمات وصفات الحقيقة، المجرَّد عن الحد والكيفيَّة، المنَّزهة عن الرسم والكميَّه، لا تنالها البصائر والعقول، ولا يصل إليها أهل المعقول والمنقول.

وقد وقعت الإشارة بصريح العبارة إلى هذه المراتب بقول مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، الذي اعتمد عليه جماعة من العلماء الأعلام، وطائفة من الفقهاء الكرام، منهم السيِّد الأجل السيِّد ابن طاوس قدس سره[2]. كان من شدَّة الإعتناء به والوثوق عليه يجعله حرزاً، ويشدُّه في عضده، قال عليه السلام: «**إذا تحقَّق العلم في الصدر خاف، وإذا خاف هرب، ومن هرب نجا، وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل، فإذا تمكَّن من رؤية الفضل رجا، وإذا رجا طلب، ومن طلب وجد. وإذا**

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٤.

(٢) أنظر في كتاب أمان الأخطار.

انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبَّة، واستنأس في ظلال المحبوب، وآثر محبوبه على من سواه»[١]، نقلت بعض الحديث بالمعنى.

والحاصل: أنَّ الفرق بين المشاعر والقوى المدركة من أصعب ما يرد على الفحول العلماء، بل لا تقف عند إدراكها وضبط حدودها وأوضاعها العقول، وكان لمولانا وأستادنا في هذه المباحث نتائج أفكار دقيقة وقواعد رموز رشيقة، لا يهتدي إليها الكاملون الماهرون في هذه الفنون، فما ظنُّك بغيرهم ممَّن لم يتَّبعوا في أطوار هذه الدقائق، ولم يستضيء أبصار قلوبهم بأنوار هذه الحقائق، إذ لم يسمعوها ولم يعوها فهم عنها غافلون.

وجلُّ مطالبه ـ في مباحثه ورسائله ـ مبنيَّة على الفرق بين هذه المشاعر، واختصاص كلِّ مشعر بمطلب خاص لا يصلح الآخر له، كما إنَّ البصر لا يصلح لإدراك الأصوات، والسمع لا يصلح لإدراك الألوان وكذلك باقي المشاعر. وصرَّح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّما تَحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها**»[٢] خصوصاً مسألة المعراج، فإنَّها لا تنال ولا تدرك إلَّا بالفؤاد، فمن طلبها بغيره لم ينل المقصود ولم يصل المراد، وسائر المشاعر عنها بعيدة بمسافة عديدة.

ولا يخفى على كلِّ ذي لبٍّ سليم وعقل مستقيم، أنَّ مشاعر الإنسان بمراتبها ليست كلُّها صحيحة معتدلة تامَّة التأثير والإدراك، بل منها ما هي

---

(١) مصباح الشريعة: الباب الأوَّل في البيان.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٤.

سقيمة عليلة ضعيفة الإدراك، ومنها ما هي محجوبة بحجب تمنعها عن الشعور، ومنها ما هي عارية عن النور كما نشاهد في الحواس الظاهرة، فإنَّ من الناس من هو فاقد البصر، ومنهم من هو فاقد السمع وهكذا، قياس سائر المشاعر الظاهرة، إذ لا يلزم أن يكون كلُّ واحدة صحيحة في كلِّ شخص، وكذا الحواس الباطنة كما أشار إليه مولانا الرضا عليه السلام في حديث عمران الصابي: «**قد علم أُولوا الألباب أنَّ الإستدلال على ما هنالك لا يعلم إلَّا بما هيهنا**»[1].

ومن هذه الجهة شرط مولانا ـ أعلى الله مقامه ـ في فهم كلامه الفرق بين إدراك القلب والفؤاد، كما قال في جواب بعض المسائل في العلم ما لفظه الشريف: «أُوصيك أيُّها الناظر في كلامي أن لا تقف على الألفاظ والعبارات، فإن كنت تعرف الفرق بين القلب والفؤاد والفرق بين نظريهما، واستعملت في كلامي نظر الفؤاد فزت ببلوغ المراد، وإلّا فاقطع الخطاب ولا تطلب السرّي من السراب، فإن كنت عطشاناً لهذا المورد فقد ضُرب دونه ألف حجاب، والله سبحانه الموفِّق للصواب».

فإذا كان الأمر كذلك فقبل الفرق بين نظر القلب والفؤاد، والتميز بين مدركاتهما واستعمال نظر الفؤاد، كيف يرجى بلوغ المراد في فهم كلام من كلامه مقصور على نظر الفؤاد؟! وهذا لا يُعلم قطُّ ولا يعرف إلَّا بتنقيح مسائل علم الحواس، وتحقيقها على جهة البصيرة والإيقان، على ما هو

---

(١) التوحيد للصدوق، ص: ٤٣٨.

المعروف عند الحكماء الراشدين والمؤمنين الممتحنين، المستخرجين لأُولي الأسرار والعلوم من أصداف أحاديث الأئمَّة الطاهرين، عليهم سلام الله أجمعين.

ولقد كتبنا في ذلك رسالة منفردة، وذكرنا فيها بعض مسائل هذا العلم بأوضح بيان وأكمل تبيين، إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين.

وأمَّا ميزان المدارك والمشاعر فهو الأدلَّة، وهي ثلاثة كما قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، والمعروف بين العلماء ـ في علم المنطق وغيره ـ ضبط آخر الأدلَّة وأدناها، وهو دليل المجادلة بالتي هي أحسن وتحقيقه وشرائطه وآدابه، ولمن يعرف سياق الكلام ليس هو المقصود من الله الملك العلَّام، بدليل تغيير سوق العبارة لمن يفهم الإشارة في مقام التلويح بصريح العبارة، والدليل الأصلي المقصود لذاته هو الأوَّلان المندرجان في سوق واحد والمنتظمان بنظم غير متعدِّد.

أوَّلهما: أعلاهما وأبهاهما وأسناهما وأشرقهما وألطفهما، وهو دليل الحكمة الموصل إلى سرِّ حقيقة المعرفة، في جميع موجودات التكوينيَّة والتشريعيَّة، والمعنويَّة والصوريَّة، والتكوينيَّة والتدوينيَّة، والحقيقيَّة والمجازيَّة، على نهج اليقين بما لا يختلجه الشكُّ والتخمين، وبها تدرك الأشياء كما هي، كما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ربِّ أرني الأشياء كما

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٤.

هي»، وقال جلَّ من قائل، إثباتاً لعظيم منزلته، واظهاراً لجليل خطره ومرتبته: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[١]، وهو الدليل اللمِّي والسرُّ الغيبي، وهو لإفادة الأسرار كما قال عليه السلام: «سِرٌّ لا يفيده سرٌّ»[٢]، وهو لأخص الخواص البالغين مقام الاختصاص، وعليه تبنى المعارف الإلهيَّة والحقائق اللَّاهوتيَّة.

وثانيهما: دليل موعظة الحسنة، وهو دليل أُولي الألباب وأصحاب اليقين، ومخلصي شيعة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، من أهل التحقيق والتمكين، الذين تكلَّموا عن الحقيقة بلسان المجاز وعبَّروا عن المجاز بصرف الحقيقة.

وهذان الدليلان هما الأصل والعمدة لفهم المطالب، ما تعرَّض لهما المشهور، بل تصدَّى العلماء العارفون والفقهاء الربَّانيُّون لتحقيقهما وذكر شرائطهما ومستنداتهما، ومتمِّماتهما ومكمِّلاتهما، ولوازمهما ومقتضياتهما، إلى أن صدر علماً مستقلّاً ذات مسائل عجيبة ومطالب غريبة، لا تدركه العقول والبصائر من أهل الرسوم والظاهر، وأغلب مطالب مولانا وأستادنا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ مبتنية على دليل الحكمة وأصل مأخذهُ ومنشأه وشرائط تحقُّقه واللَّوازم المترتِّبة عليه والنتائج المتحصِّلة منه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) بصائر الدرجات، ج: ١، ص: ٢٨.

ونظروا إلى كلام مولانا ووجدوا أنَّه ـ على قاعدة المقرَّرة ـ لا ينطق في المنطق قالوا: إنَّه قول بلا دليل. ولكنَّهم أخطأوا الصواب ونطقوا بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ، ولا يعلموا أنَّ الدليل هو الذي عنده والسبيل الحقّ هو الذي سلكه، وأنَّ الأئمَّة عليهم السلام ما تمدَّحوا إلَّا بذلك ولا أثنى [١] إلَّا هنالك، ألا ترى تخاطبهم في الزيارات وفي سائر المخاطبات «**ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة**»[٢] ولا تقول: والمجادلة بالتي هي أحسن، ولو كان فيهما كمالاً لامتدحوا بها ولأثنوا عليهم.

ولا يُقال أنَّهما داخلان في المنطق، فدليل الحكمة هو البرهان المنطقي، والموعظة الحسنة هي الخطابة، ودليل المجادلة هي الجدال على ما هو المعروف عندهم، كما قال ملَّا صدرا. لأنَّا نقول هذا باطل قطعاً، لأنَّ مولانا الصادق عليه السلام صرَّح أنَّ البرهان من الجدال بالتي هي أحسن على ما رواه الطبرسي في الإحتجاج[٣] والمجلسي في البحار[٤]، ولدلائل أُخر من البراهين العقليَّه التي ذكرناها في محلِّها.

ولسنا نقول دليل المجادلة باطل، وإنَّما نقول أدنى المقامات، ودليل الحكمة أعلى منه. فالمتمكِّن منه لا يعتني بدليل المجادلة لأنَّه عدول عن

---

(١) عليكم (ظ).

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة، بحار الانوار، ج: ٩٩، ص: ١٢٦.

(٣) الإحتجاج، ج: ١، ص: ٢١.

(٤) بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ١٢٥.

الكمال، ولا يرضى به أصحاب الكمال، لأنَّه لا يوصل إلى حقيقة المراد، فلا يلتفت البالغون مرتبة الفؤاد، ومن هذه الجهة أجرى مولانا نمط استدلاله واستنباطه على دليل الحكمة والموعظة الحسنة، فمن لم يعرفهما ولم يعرف كيفيَّة الإستدلال بهما فلا يعقل منه فهم كلام من يستدلُّ بهما، ومفاهيم كلماته مستنبطة عنهما، وهل هذا إلَّا طمع الإستماع بالبصر، والرؤية بالسمع، والذوق بالمنخرين؟ وما هذا يفعل إنسان.

وأمَّا ميزان الأدلَّة فهو مذكور في محلِّه ومشروح عند أهله، ويتكلَّف بيانهما آيتان من القرآن وهما قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1]، وشرح هذه الآية وبيانها، وجواب ما عسى أن يرد عليها، وتوضيح مجملها وتبيين معضلها، في الآية الأُخرى وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُم فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2].

وشرح هذه المسألة وبيانها موكول في ذلك العلم على ما عند أصحاب الحقيقة، وقد ذكرت في شرح الخطبة التطنجيَّة شطراً وافياً منه، وعلى من يفهم الكلام السلام.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

و [الثاني عشر] منها: علم الكتاب التكويني

وهو علم عجيب غريب، علم الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين، والأولياء والصدِّيقين والخواص من المؤمنين الممتحنين، الَّذين عرفوا الحيث والكيف والكم، وعرفوا مفصولهم وموصولهم وما يؤول إليه أُمورهم، وهم القليلون أقلُّ من الكبريت الأحمر، كما أشار إليهم الآيات والروايات.

وهذا الكتاب قد جمع الله فيه جميع العلوم والمعارف، وجميع المقاصد والمطالب، وجميع ما يريد من خلقه كلِّها ببيانٍ حالي وشرح تكويني وجودي، بصرف الأمثال وبيان الأحوال وتفصيل الإجمال، بحيث لا يخفى لمن نظر فيه وعرف كيفيَّته [١] قراءته جواب ولا سؤال، ولم يَطَّلِع عليه إلَّا الأقلُّون وغفل عنه الأكثرون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والله سبحانه نصَّ عليه في كتابه الحميد بقوله عزَّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ﴾[٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤]،

---

(١) كيفيَّة (ظ).

(٢) سورة فصِّلت، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

وأمثالها من الآيات الكثيرة.

وفي هذا العلم الشريف تبيين حقيقة معنى قوله ـ أعلى الله مقامه ـ إنَّه ﷺ عرج بجسده في الزَّمان، وبجسمه في الدهر، قبل خلق السماوات والأرض بألفي عام أو بأربعة آلاف عام، وبروحه في السرمد أضعاف أضعاف مقدار بقاء العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض، وقد حدَّد قليلاً منه أمير المؤمنين عليه السلام للسائل لمَّا سُئل عن ذلك فقال عليه السلام: «**لو صبَّ خردل حتَّى ملأ الفضاء وسدَّ ما بين الأرض والسماء، وأنت لو عُمِّرت وكُلِّفت ـ مع ضعفك ـ أن تنقل حبَّة حبَّة من المشرق إلى المغرب حتَّى ينفد، لكان ذلك بأقلٍّ من جزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير ممَّا بقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض، واستغفر الله من التحديد بالقليل**»[٥]، كلُّ ذلك بعروج واحد، وهذا من المعضلات التي لا يفتح مغلاقها إلَّا بهذا العلم الشريف.

وهناك يتبيَّن حقيقة المدَّة، وإنَّها أي شيء؟ واختلاف المدد لماذا؟ وما منشأ هذا الإختلاف؟ وأي نسبة بين هذه المدد؟ وكيف يكون عروج جسده في الليل بعد البعثة بسنتين، وعروج جسمه في النهار قبل خلق السماوات والأرض بعروج واحد؟ وما معنى هذا الإتِّحاد مع هذا الإختلاف؟ وهكذا سائر مباحث المعراج، وأنَّ جسمه ﷺ ألطف من

---

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٥) بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٢٣٢ و ٣٣٧.

العرش محدَّ به بسبعين ألف مرَّة، مع أنَّه يُرى بالأبصار دون العرش ويُحسُّ بالحواس ويدرك بلمس اللَّامس، وتجري عليه التغيَّرات وتعتور عليه الحالات، مع أنَّه هو الثابت القار الباتّ، ولا يوصف العرش ولا الكرسي ولا السماوات بتلك الصفات والسِّمات، ما الوجه في ذلك؟ وما حقيقة الأمر في هنالك؟

هذه المباحث كلُّها مشروحة في هذا العلم الأنور والنور الأزهر، الذي أظهره للناس سادات المحشر وأصحاب الحوض والكوثر، عليهم الصلاة والسلام من الخالق الأكبر، وجعلوا هذا العلم مكتوماً عند أهله مخزوناً في محلِّه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وأنَّىٰ للأجانب إدراكه وللأباعد فهمه، إلَّا أنَّ مولانا ـ أعلى الله مقامه ـ قد كشف سرَّه وفتح مقفله، وأذن لطالبين بالدخول امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[1]، فمن عرف غنم وسلم، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

و [الثالث عشر] منها: علم الكون الشرعي والشرع الوجودي

وهما متلازمان متساوقان متحاويان، لا ينفكُّ أحدهما عن صاحبه، وهو علم ذو عجائب وغرائب ومقاصد ومطالب، لم يسمعه الأكثرون ولم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

يعثر إلى حقيقته إلَّا الأوَّلون، وقد بسط مولانا وشرح في بعض رسائله وبيَّن فأفصح في أغلب مباحثاته بعض مسائل هذا العلم.

وبعد الإحاطة بحقيقتها يظهر معنى قوله ـ أعلى الله مقامه ـ: أنَّه صلَّى بالملائكة في النهار، وأسبغ وضوءه من بحر الصاد، وتمضمض واستنشق من ماء الإتحاد، وصلَّى صلاة الظهر في مقام أو أدنى، حين كون الشمس قائمة على قمَّة الرأس والظلُّ منعدمًا والكواكب محترقة والبروج متطابقة متواصلة يظهر من الكلِّ خاصيَّة الكل، وهنالك صلَّى صلاة الظهر، وهو أوَّل صلاة صلَّاها وأوَّل فريضة أدَّاها، قبل المصلِّين وقبل المؤدِّين بقبليَّة غير محدودة، ومعنى صلاة الربِّ وقوله ـ جلَّ شأنه ـ في صلاته: أنا ربُّ الملائكة والروح، وما معنى الصلاة؟ وكيف كانت هذه الصلاة؟ وما وجه اختصاصها دون غيرها.

وهكذا أمثالها من المسائل المعضلة، التي تكلُّ دونها الأبصار، وتحير دون البلوغ إلى أدنى مراتبها الأفكار، وهي كلُّها مشروحة مفصَّلة مبيَّنة محقَّقة في هذا العلم الشريف والنور المنيف، ولا يمكن الإطِّلاع عليها إلَّا بعد الإحاطة بحقائق هذا العلم ودقائقه، وشروطه ومتمِّماته، وكليَّاته وجزئيَّاته، ومقتضياته وأسبابه.

و [الرابع عشر] منها: علم المناظر والمرايا

ومعرفة هذا العلم على ما هو عند أهل العلم عليهم السلام، لا على ما هو

المعروف المشهور عندهم من خيالات اليونانيِّين وأوهام المتفلسفين، بل على ما هو الحقُّ عند أهل الحق، من معرفة المرآة والصورة والإنطباع والمقابلة، وكيفيَّة تحقُّق الصورة، وحقيقة المرآة، وأنَّ المرآة هي الصورة أو الزجاجة؟ وحقيقة النسبة بينهما، وأنَّ الصورة هي الشبح المتصل أو الشبح المنفصل؟ أو المنفصل من المنفصل ومن المتَّصل؟ وما النسبة بين هذه الأشباح؟ وأين تحقُّقها؟ وما السَّبب في وجودها؟ وما العلَّة في اختلافاتها.

وكيف ينطبع الصورة في المرآة من الشاخص المقابل بلا اتصال ولا انفصال؟ ولا ممازجة ولا مفارقة، ولا مداخلة ولا مباينة، وأنَّه انطباع فهو أنَّى بلا كيف ولا حدَّ ولا كيف، وكيف يستدلُّ منها إلى المقابل؟ بل[1] بملاحظتها وملاحظة الشاخص فيكون لحاظان في آن واحد؟ ويأباه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ﴾[2] إذا كان الإدراك بالتفاتة واحدة من غير لحاظ تعدُّد النظر، أم يلتفت إلى المقابل من غير التفاته إلى الصورة؟ ويأباه امتناع التوجُّه إلى المدلول من غير توجُّه، أو يلتفت إلى المقابل حين التفاته إلى الصورة مع التفاته إليها من غير التفاته إليها، بل قبل التفاته إليها كما هو الحقُّ، وهو سرُّ ملاحظة السافل العالي من غير السافل بالعالي، وكيف يعقل هذا الأمر الدقيق؟! وكيف يعرف هذا

---

(١) هل (ظ).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

المعنى الرشيق؟

وكذلك القول في الأبصار، هل هو بخروج الشعاع أو بالإنطباع ـ كالصورة في المرآة ـ أو بالإنعكاس؟ أو بغير ذلك من الأقوال الأربعة المشهورة، وما كيفيَّة الإدراك والإبصار؟ وما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّما تَحدُّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**»[١]، كيف يدرك البصر نفسه أو السمع نفسه؟ مع ما ورد من الإنكار الصريح في هذا المعنى في كلام مولانا الرضا عليه السلام في حديث عمران الصابي، فكيف التوفيق بين الرّوايتين؟ وما حقيقة الأمر في البين؟ وما نسبة الألفاظ إلى المعاني؟ هي هي نسبة المتباينين؟ كما هو المشهور عند علماء الأصول، أو نسبة الأجساد إلى الأرواح؟ كما هو عند علماء الحقائق والأسرار، ويدلُّ عليه صريح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**المعنى في اللفظ كالرُّوح في الجسد**»[٢].

وهل المراد بالروح والجسد الروح الحيوانيَّة، المأخوذة من صفو أرواح الأفلاك؟ كما في كلام مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، أو الروح الناطقه القدسيَّة التي أصلها العقل، منه وعت وإليه دلَّت وأشارت وشابهت إذا كملت، أو الروح الأمري والسرُّ الغيبي؟ المعني في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قُل الروح من أمْرِ رَبِي**﴾[٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رّوحِي**﴾[٤]،

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٤.

(٢) نهج البلاغة الثاني، ص: ٢٩١، للمحقق جعفر الحائري.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.

وعلى القول الأخير كما هو الحقُّ المنصور المؤيَّد بالأدلَّة القطعيَّة المذكورة في محلِّها، فتكون نسبة الألفاظ إلى المعاني نسبة المرايا إلى الصورة والأشباح المنفصل، وإدراك المعنى من اللفظ كادراك المقابل للشاخص من الصورة التي في المرآة، فتكون الشروط المعتبرة فيه هي الشروط المعتبرة فيها، الكلام الكلام، الجواب الجواب، الاحتمالات الاحتمالات، الاختلافات الاختلافات.

ولذا قال مولانا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ في وصيَّته لمن يروم معرفة كلامه: «أيُّها الناظر في كلامي إن قدرت أن تعرف المعنى من إلحاق اللَّفظ بغير اللَّفظ فانظر في كلامي، وإلَّا فدع عنك بحراً ضلَّ فيه السوابح».

وهذه العبارة شرط لمعرفة كلامه، وحقيقة هذا الشرط لا تُعرف ولا تُدرك إلَّا بعد الإحاطة بعلم المرايا والمناظر، وتحقيق المطالب التي أوردنا شطراً منها، وهذه لا تعرف إلَّا بعد العثور على حقائق ذلك العلم ودقائقه، ممَّا يستفاد من دليل الحكمة، لا ما كتبه الهندسيُّون واليونانيُّون بهذا الشأن، فإنَّه لا يسمن ولا يغني من جوع.

فمن لم يعرف هذه الدقائق كما ذكرناه، ولم يطَّلع على هذه الحقائق كما سطرناه، فإيَّاه ثمَّ إيَّاه أن يروم معرفة كلامه ـ أعلى الله مقامه ـ وأن يحوم حول عباراته وكلماته، فإنَّها بحر تضلُّ فيه السابحون، ولجَّة تغرق دونه

---

(٤) سورة صٓ، الآية: ٧٢.

الجاهلون «رحم الله امرئ عرف قدره ولم يتعدَّ طوره»[١].

و [الخامس عشر] منها: علم التأويل والباطن، وتأويل التأويل، وباطن الباطن، وتأويل الباطن، وباطن التأويل، وظاهر الظاهر، حتَّى ترتقي المراتب إلى السبعة أو السبعين[٢]

وهذا علم قد سُدَّ دونه الأبواب، وضُرب دون ألف حجاب، لأنَّه من مكنونات الأئمَّة الأطياب عليهم سلام الله في المبدأ والمآب.

ولمَّا إنَّهم ـ سلام الله عليهم ـ قالوا: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلِّمون»[٣]، وقال الله عزَّ وجلَّ خطاباً لهم بالأصالة ولغيرهم بالتبع: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٤]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٥]، كانوا عليهم السلام يعلِّمون المنقطعين من شيعتهم المؤدَّبين بآدابهم والنَّاهجين منهجهم، فعلَّموهم من الأسرار ما يقصر عن إدراكهم ١

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٧٥، ص: ٦٦.

(٢) راجع التفصيل في مجمع التفاسير، ج: ١، ص: ٤.

(٣) بحار الأنوار، ج: ١، ص: ١٨٧، عن الصادق عليه السلام.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥.

أفهامَ أولي الأبصار والأنظار، وحجبوها عن الأغيار، على تفاوت مراتبهم ودرجاتهم ومقاماتهم، فكان العلماء من الشيعة المخلصين أصحاب الحكمة وأولي الأفئدة يتوارثون هذا العلم خلفاً عن سلفٍ، ويحمونه عن التضييع والتلف، ويكتمونه عن الأغيار ويبعِّدونه عن تناول الأشرار.

ولمَّا كان مولانا ممَّن ورد ذلك المورد، وشرب من ذلك المشرب، وأدرك العلَّ والنَّهل، كان يجري كلماته لأهل الإشارات وأصحاب اللَّطائف والتلويحات ذلك المجرى، لئلَّا يكون مخالفاً لما أمره الله، من سلوكه سبيل الحقِّ وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وعدم منع الحكمة لأهلها، فصار يتكلَّم لهم بذلك اللِسان، ويظهر لهم ذلك الشأن، ويرشدهم إلى سبيل الله بذلك التبيان، ويعلِّمهم حقيقة البيان في قوله الملك المنَّان: ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[1]، ويفهمه من كان من سنخ الإنسان.

فإذاً: ما معنى التأويل الباطن؟! وما معنى الباطن وباطن الباطن؟! وما معنى الظاهر وظاهر الظاهر؟ والتأويل وباطن التأويل؟! وما الفرق بين هذه المراتب؟ وما النسبة بينهما من النسب الأربعة؟ ولما اختلفت وتعدَّدت وتكثَّرت وانبسطت؟ مع أنَّه يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**العلم نقطة كثَّرها الجاهلون**»[2]، وهل هذا تكثير، أو بسط وتكسير؟ ولِمَ كانت سبعة وارتقت إلى سبعين؟ وما النسبة بين هذه المراتب، هل هي نسبة العليَّة والمعلوليَّة،

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١ ـ ٤.

(٢) غوالي اللئالي، ج: ٤، ص: ١٢٩.

والأثريَّة والمؤثريَّة الشعاعيَّة المنيريَّة، على المعنى الخاص بالوجه العام؟ أو القِشر واللُب والتساوق والتضائف، أو التساوي والتحاوي؟ وما النسبة بين مدلولاتها ودوالِّها ـ ممَّا ذكرنا ـ؟ وما النسبة بين إطلاقاتها ومفهوماتها من الحقيقة والمجاز، والنقل والإشتراك، والتواطيء والتشكيك، والحقيقة بعد الحقيقة، أو الحقيقة بعد المجاز، أو غير ذلك من الإطلاقات والأمم؟ التي لم يسمعها الأكثرون وكتمها الأقلُّون، وبيَّنها المستسرُّون، وحفظها الغيبيُّون، أولئك كما قال الشاعر:

لله تحت قباب العرض طائفة أخفاهم عن عيون الناس إجلالاً

وكلام مولانا وأُستاذنا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في فسح الجنان منزلته ـ أغلبه يجري هذا المجرى، لأنَّه العارف بأسرار التأويل، والعالم بأحكام التنزيل، ببركة انقطاعه إلى ساداته ومواليه أهل بيت التكبير والتهليل، والتحريم والتحليل، خصوصاً مسألة المعراج وما ذكره ـ طيَّب الله نفسه، وعطَّر رمسه ـ في هذه العبارات في بيان الجسد والجسم، والكثافة واللَّطافة، والنورانيَّة والأفاعيل الإلهيَّة، وصعود الجسم بثيابه، والجسد بلباسه ونعله من غير لزوم خرق ولا التئام، وتلقِّيه الوحي من جبرائيل، مع أنَّ عليّاً هو المعلِّم لجبرائيل بالأخبار المتكاثرة والروايات المستفيضة، بل المتواترة. مع أنَّ علم علي عليه السلام هو حبَّة من بحره وقطرة من سحاب هاطله، ورؤية الأنبياء في السماوات، مع أنَّهم في الجنان متَّكئون على الأرائك في الغرفات، ومعنى صلاة الظهر ووضوئه من بحر الصاد، ووقوفه

على باب المراد، وبلوغه إلى مقام الحب والوداد.

وكلُّ هذه أمور يعرف بيانه ويشيِّد أركانه، بعد معرفة هذا العلم الشريف والنور المنيف، وأنَّى للقاصرين وإدراكه، وأنَّى للمنقطعين والوصول إلى ساحة معرفته، وأين الثريَّا من يد المتناول.

[السادس عشر] منها: علم الأُصول

ومعرفة أنَّ في كلام العرب حقائق ومجازات، وكناية واستعارات، ومحكمات ومتشابهات، وعمومات وإطلاقات، وتفاصيل ومجملات، وبيانات ومعضلات، وواضحات ومبهمات، وأمثال وإشارات، ودلائل وعبارات، وسائر تصاريف أنحاء الكلمات من فحوى الخطاب ولحن الخطاب ودليل الخطاب، ودليل التنبيه والإشارة وقصد بصريح العبارة، فالقول من قبيل إيَّاك أعني واسمعي يا جارى[1]، وإنَّ في ذلك نصَّاً وظاهراً.

وإنَّ الألفاظ من حيث أنفسها لا تفيد إلَّا الظنَّ، وإنَّ استفادة معنى من كلام لا يكون إلَّا بنفي عشرة أشياء ـ كلُّها تفيد الظن ـ كأصل عدم التخصيص، وعدم التقدير، وعدم الإضمار، وعدم الإشتراك، وعدم النقل، وعدم التجوُّز، وعدم الإجمال وأمثالها، وممَّا هو مذكور في الكتب الأُصوليَّة المطوَّلة، وأنَّ الظاهر لا يُعارض النَّص، وأنَّ أعظم ما يستفاد به

---

(١) الكافي، ج: ٢، ص: ٦٣٠. عن أبي عبدالله عليه السلام.

النص تنصيص المتكلّم بمراده وتفسيره لما في قلبه وخاطره، وأنَّ الكلام يحمل على مراده الذي يدَّعيه، لا على ما يظهر من ظاهر اللُّغة بعد فتح التجوُّزات والمحكمات والمتشابهات، إلَّا أن يكون خارجاً من قانون اللُّغة ومباينا لطريق أهل العرف واللسان من وجوه العربيَّة، وقد قال عليه السلام على ما رواه المفيد في الاختصاص: «**إنِّي لأتكلَّم وأُريد منها أحد وسبعون وجهاً لي لكلٍّ منها المخرج**»[1].

فإذا صحَّت هذه الاحتمالات، فيعرض كلام القائل في الأُصول والعقائد على ما صحَّ له من المذهب، إلَّا أن يكون القائل يصرِّح بخلافه، أو أن يكون في كلامه قرائن قطعيَّة يفيد القطع لمن لم يكن مسبوقاً بالشبهة بمراده، أو أن يكون كلامه كلُّه على نهج واحد لحصل القطع بالمرَاد.

وأمَّا إذا كان الكلام يجري على أوضاع عديدة وأحوال مختلفة متشتتة، مرَّة ينفي شيئاً وأُخرى يثبته، ومرَّة يحمل أمراً ومرَّة يشرحه، ومرَّة يبهم حكماً وأُخرى يفصلُه، ومرَّة يتكلَّم بلسان واصطلاح وأُخرى بآخر، ففي هذه الصورة إن عرف أنَّ القائل داخل في مذهب أو دين فينسب إلى ذلك المذهب والدين، ويجعل من كلماته كلَّ ما يوافق أو يطابق معتقدات أهل المذهب أصلاً ومحكماً، فيؤوِّل ما سواى ذلك إلى ما لم يظهر فيه وجه المطابقة والموافقة إلى ذلك الأصل المحكم.

---

(١) الاختصاص، ص: ٣٨٨.

وإن لم يظهر من كلامه وجه الموافقة أصلاً، ولا هو صريح في المخالفة بحيث يحصل القطع بالخلاف بمعونة القرائن الخارجة والداخلة والحاليَّة والمقاليَّة، وعرف انتساب القائل إلى مذهب معلوم فينسب إلى مذهبه ويجعل تلك الكلمات من المتشابهات، فإن قدر تأويله إلى مذهبه ومعتقده الذي عرف بالانتساب إليه فهو المطلوب، وإلَّا فليرد علمه إلى قائله فإنَّ قائله أولى به، لقوله عليه السلام في المتفق عليه: «إدرؤا الحدود بالشبهات»[1] ولا يتسارع إلى الإنكار ليشمله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[2]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3]، وقوله عليه السلام: «إن علمتم فقولوا وإلَّا فها»[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[5]، وأمثال ذلك من الآيات والروايات.

وأمَّا إذا لم يعرف مذهب القائل، ولم يعلم انتسابه إلى مذهبه ودين، وكلماته غير صريحة في الأمر ولا تفيد القطع في الحكم، فيجب التثبُّت والتوقُّف لقوله عليه السلام: «الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ١٨، ص: ٣٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١١.

(٤) روي مثله في بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ١١٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٤.

في الهلكات»[١].

وبالجملة: هذه الأحكام مشروحة ومفصَّلة في علم الأُصول ومبرهن فيه عليها، فإذا عرفت هذه الأحكام وأمثالها وأتقنتها عرفت نوع معرفة عبارات مولانا، فاجعل ما تلونا عليك في أوَّل المسألة: من تصريحه بالعروج الجسماني والجسداني، مع البشريَّة الظاهرة، مع الثياب واللباس. أصلاً محكماً، وردَّ علم ما قرأنا عليك بعد ذلك ـ من دقيق العبارة ولطيف الإشارة ـ إلى ذلك المحكم المتقن الأصل الأصيل، تجده صحواً بلا غبار وصفواً بلا أكدار وأُنساً بلا أغيار، إنَّ في ذلك لعبرة لأُولي الأبصار.

(١) وسائل الشيعة، ج: ١٨، ص: ١١٤.

[الإحاطة بالكل تكشف عن البعض]

وهذه العلوم المذكورة هي التي لابدَّ منها ولا محيص عنها في معرفة عباراته المذكورة[1]، فإذا عرفتها وأتقنتها وأحكمت ما فيها من الدَّقائق والإشارات والحقائق والتلويحات، ربَّما تحظى ببعض مطالبه ولطائف إشاراته المودعة في طيِّ عباراته، لا جميع ما يريد منها كما يريد بما يريد، فإنَّ ذلك صعب المنال عزيز الوصال، لا يهتدي إليها إلَّا من أنار الله قلبه

---

(١) وكما لا يخفى، فإن الشيخ ﷺ قد أبدع في علوم كثيرة لم يذكرها السيد (المصنف) هنا، بل ذكرها في كتابه (دليل المتحيرين) وإليك من العلوم التي لم يذكرها هنا، وهي: علم العروض، علم الموسيقى، علم النحو، علم المعاني والبيان، علم الحساب، علم الأكسير والكيمياء، علم الأعداد والأوفاق، علم الحروف، علم البسط والتكسير، علم الجفر، علم الطب، علم التفسير، علم الحديث، علم الدراية، علم الرجال، علم الفقه، علم الكلام والحكمة العملية والنظرية، علم التواريخ والسير، علم عجائب المخلوقات وغرائب المصنوعات، علم السماء، علم تجويد القرآن، علم كتابة القرآن، علم أحوال الكلام ـ إلى أن قال (أعلى الله مقامه) ـ وكذا سائر العلوم، ذَكَرتُ بعضها وما خفي عليَّ أكثر وأكثر ـ إلى أن قال ـ وكان يستخرج هذه العلوم والأحوال كلها من الكتاب والسنة. (دليل المتحيرين) ص: ٤٦ ـ ٥٠. بتصرف يسير.

وكشف عن بصيرته وسرّه، وعرفّه الحيث والكيف والكمّ، وأحاطه بعلم الكيفوفة وسرِّ القيمومة، واستنار بنور الكينونة وخرج من عالم البينونة، وذلك أوحدي العصر وواحد الدهر.

[سرح الشرح للزّيارة الجامعة]

وإنَّما في قديم الأيَّام بعد أن قرأت عليه ـ أعلى الله مقامه ـ في علوم متعدِّدة، وسمعت منه عجائب وغرائب من أحكام متشتتة، خطر بخاطري الفاتر وجاء ببالي القاصر وفكري الباتر أن أشرح شرح الزيارة الجامعة، وأُبيِّن عجائب مطالبه وغرائب مقاصده، وأكشف حجابه وأرفع عن وجه المقصود نقابه، فابتدأت لشرحه فكتبت نحواً من خمسة عشر كرَّاساً على حجم الربع، ووصلت إلى فقرة من فقرات أوَّل الشرح، فكتبت عليها نحو سبعة كراريس في شرحها وبيانها واستخراج المعاني المبتكرة منها.

وبعد ذلك تفطَّنت بأنِّي أدور حول المطلب، وما دخلت بابه وما وصلت إلى حقيقة سرِّه، بل ما بلغت إلى شيء ممَّا أراد، فتنبَّهت في خطائي في ارتكاب هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم، فعلمت أنِّي لست من السفن التي يُسار بها في هذا البحر المتعاظم والطمطام المتلاطم، ولا من غوَّاص هذه اللجَّة، فكتبت تحت ذلك الكلام بما لفظه:

« ولله درُّ الشارح، حيث جمع في هذا الكلام الموجز المختصر جميع ما في الوجود وأسراره، وكلَّما يجب للموجودات في الشريعة

والطريقة والحقيقة، وما يستجرّ [١] في الثلاثة وما يكره ويحرم فيها، والعجب أنَّه في كلٍّ من كلماته جميع ما كان في الكلِّ، بل في البعض ما كان في كلِّ جزء من أجزاء كلامه ما كان في الكل، وإن لاحظت الكلَّ في البعض فالبعض إجمال وبيان، وإن لاحظت الكلَّ في الكلِّ فالكلُّ كلام تام، بحيث ليس بينهما ارتباط ولا التئام، وإن لاحظت الأوَّل مع الآخر يتمُّ المقصود، وإن لاحظت المتوسِّطين في الأوَّل يظهر لك كلُّ موجود، وإن لاحظتهما في الثاني ينكشف لك مقصود، [٢] وإن لاحظتهما بالافتراق يدلُّ على الاجتماع، وإن نظرت إليهما بالاجتماع يدلُّ على الافتراق.

ولعمري، إنَّ هذا الكلام مطابق للكتاب التدويني المطابق للكتاب التكويني، التي اجتمع في جزئه كلُّما كان في الكلِّ، المصحّح لقول الشاعر:

كلُّ شيء فيه معنى كلِّ شيء فتفطَّن واصرف الذهن إليَّ
كثرةً لا تتناهى عدداً قد طوتها وحدة الواحد طيّ

ـ ثمَّ قلت ـ: ولا عجب، فإنَّ المرء مخبوء تحت لسانه[٣]، والكلام على مقدار عقل المتكلِّم وسعة معرفته وإحاطة دائرته، وهو ـ أعلى الله مقامه، ومتّعنا بفيوضاته، ورفع أعلامه ـ قد شرب من شرب المعرفة، وتجرَّع من كاسات المحبَّة كأساً فسكر فلا يرى الصحو أبداً، ورأى من

---

(١) يستحبّ (ظ).

(٢) كلٌّ مفقود (ظ).

(٣) بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٣.

سكره صحواً فلا يرى السكر أبداً، كما قال ـ أعلى الله مقامه ـ في قصيدته اللّاميَّة في مدح الأئمَّة عليهم السلام، يشير إلى ما شرب في مدح الأئمَّة عليهم السلام من ريق مولانا الحسن عليه السلام ومن ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرؤيا الصادقة والمنامات الصحيحة، التي جزء من سبعين جزء من النبوَّة، كما روي عنهم عليهم السلام في الخبر المشهور[1]، فأشار إلى هذا بقوله:

فمذ سكرت باللمّا اسمعني ورق[2] الحمى ونحلها ينتحل

أنَّى هذه الكلمات من مقامه، وأين هذه العبارات من محلِّه، ومرتبته أشرف من ما هنالك، لا يتكلَّم إلَّا على ما لا يمكننا معرفته وإدراكه، ويكتم ما عنده من الأسرار، خازناً في قلبه الشريف تلك الأنوار، قائلاً تابعاً مقتدياً لما قاله سيِّد الساجدين، عليه وعلى آبائه وأبنائه صلوات المصلِّين[3]:

إنِّي لأكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وقد تقدَّم في هذا أبوحسن
إلى الحسين ووصَّى[4] قبله الحسنا

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٦١، ص: ١٩٢.
(٢) ودق (ظ).
(٣) الغدير، ج: ٧، ص: ٣٥. وكذلك في صحيفة الأبرار، ج: ١، ص: ١٤.
(٤) وأوصى.

يـــاربَّ[١] جـوهر عـلمٍ لو أبـوح بـه
لقـــيلَ لي أنت مـــمَّن يـــعبد الوثـــنا
ولاســـتحلَّ رجـــالٌ مســـلمون دمـي
يـــرون أقـــبح مـــا يأتـــونه حســـنا

إلى هـنا كـتبت وقـطعت الكـلام، وتـركت الشـرح وعـثرت عـلى قـصوري، وعـلمت قـلَّة بـاعي عـن تـناول تـلك المـطالب الجـليلة والمقاصد الشريفة.

فانظر الآن أيُّها المنصف المتديِّن العاقل، إذا كان حالي مع قراءتي عليه وسماعي منه، وما يزعمه الناس في حقِّي بأنِّي ممَّن فهم كلامه ووصل إلى بعض مرامه في بعض مقامه، كما هو أيضاً ﷺ يظهر هذا المعنى بالنسبة إلى بعض المطالب، فما ظنُّك بالَّذين لم يعرفوا من كلامه شيئاً ولم يفهموا من مطالبه حرفاً واحداً، وبالَّذي ما سمع منه شيئاً وما حضر عـنده يـوماً واحداً، كيف يفهم كلامه ويروم مرامه ويصل إلى مقامه، حـتَّى يـتصدى للجرح والتعديل، والتمييز والتصحيح، والتكثير للقال والقيل !! إن هذا إلّا خروج عن الإنصاف، ودخول للجور والاعتساف.

---

(١) فربَّ.

[الاختلافات الاصطلاحية عند العلماء]

لأنَّ العلماء لهم لغات واصطلاحات يجرون كلامهم عليها ويبنون مطالبهم عليها، وقد اشتهر عن العلماء ـ بل عند كلِّ الناس من الخواص والعوام ـ أن لا مشاحّة في الاصطلاح، وأنَّ لكلِّ أحد أن يصطلح ما شاء كما يشاء، بعد فتح أبواب المجازات والمنقولات والمرتجلات، وإن اختلفوا في أنَّ أسماء الله تعالى هل هي توقيفيَّة أم لا؟ الأكثرون للأوَّل كما هو الحقُّ المنصور بالأدلَّة القطعيَّة من العقليّة والنقليّة، فلا يجوز الاصطلاح هنا، وذهب شاذٌ إلى الجواز أيضاً، وعمَّم الحكم في صحَّة الاصطلاح في الجميع، ومال إليه السيِّد السند في مفاتيح الأصول[1].

فإذاً: كيف يمكن حمل كلام القائل العالم الفاضل النحرير الكامل على ما يظهر من ظاهر اللغة المشتهرة عند العوام؟! مع تصريحه بعد إرادة ذلك المعنى المعروف عندهم، مع تنصيصه بلسانه دون كتابه بخلاف ما يفهمون ويعرفون، مع أنَّ مولانا ـ أعلى الله مقامه، وحشرني الله معه ـ لم يخرج في اصطلاحاته من منطوق أحاديث أهل العصمة ومفهوماته وعن ظواهر اللُّغة، إلَّا أنَّ الناس لقلَّة تتبُّعهم في الأخبار في الوجوه العربيَّة وأطوار اللغة، والتغوُّر في معنى الأحاديث وما يستنبط منها، لم يطَّلعوا على تلك الاصطلاحات وتلك اللُّغات في الذات والصفات، وبقوله

---

(١) مفاتيح الأصول، ص: ٢.

تعرِّضون بأنَّ تلك الكلمات مخالفة للاعتقادات المعلومات من الأئمّة السادات عليهم السلام من ربِّ البريَّات، وكان اختلافهم في ذلك اختلاف العربي والتركي والفارسي والرومي فيما يعبِّر عنه بالعنب وقصَّتهم مشهورة[١]، فرجعت الاختلافات إلى اللغات والاصطلاحات، والمعنى واحد في جميع الحالات، نعم يظهر الفرق بجمود البعض على ظواهر العبارات، وتسرِّي الآخرين إلى لطائف الإشارات والتلويحات.

---

(١) ذكر هذه القصة المثنوي في قصصه، القصة (٦٦) بعنوان: «الخبير ولغز العنب» وهي كالتالي: «اجتمع أربعة أشخاص من مناطق مختلفة (عربي ورومي وتركي وفارسي) في محل واحد. فأعطاهم رجل عدة دراهم لينفقوها فيما بينهم. فوقع النزاع بينهم حول كيفية صرف تلك الدراهم. فقال الفارسي: إني أُحب الـ (أنگور) أي: العنب. وقال العربي:

معاذ الله، إني أريد العنب. وقال التركي: أني أريد الـ (نوزوم) أي: العنب. وقال الرومي: إني أريد الـ (استافيل) أي: العنب أيضاً.

وفي تلك الأثناء مرَّ بالقرب منهم عالم مطلع على هذه اللغات الأربع، فتوجه نحوهم وعلم السر في نزاعهم هذا، فقال لهم: أعطوني تلك الدراهم، لأحقق بها أمانيكم أنتم الأربعة.

فاشترى بها عنباً وأعطاهم إياه، فبلغ كل واحد منهم مراده، واستبدل نزاعهم صلحاً واتحاداً.

-راجع قصص المثنوي / محمد المحمدي الاشتهاردي ج: ١ ق: ٦٦.

[لماذا اختار الشيخ هذه الاصطلاحات . . . ؟]

ولعلَّ قائلاً يقول: لو كان الأمر كما ذكرت فلماذا أتى بعبارات غير مأنوسة واصطلاحات غير معروفة ؟! وفي هذه تمويه الناس والتلبيس على العوام والخواص، وإيقاع الاختلاف في البين، وذلك غير محمود في الشريعة وغير مرغوب على الحقيقة، فإنَّ الناظر في هذه الكلمات بين مصدِّق ومكذِّب وعارف ومتوقِّف، فالعارفون تقول إنَّهم قليلون، والمتوقفون سالمون، والمكذِّبون يُشَنِّعون، والمصدِّقون يعتقدون خلاف الواقع، فيكون وزرهم عليه. فلم تنشأ هذه الاختلافات إلَّا من أمثال هذه العبارات، فلو فرض أنَّ قائلها خال من العيب ـ ولا شكَّ أنَّها مورثة للريب ـ ففي ذلك إهانة للدين المبين وهدم لشريعة خاتم النبيين، على الصادع بها آلاف التحيَّة والثناء من الحق المبين.

والجواب عن ذلك من وجوه :

[الوجه]الأوَّل:

[وجوب ردِّ المتشابه إلى الأصول المحكمة]

إنَّ هذا إنما يرد لو لم يكن شائعاً بين الناس أنَّ في الكلام محكماً ومتشابهاً، وخاصَّاً ومطلقاً ومقيَّداً، وظاهراً وباطناً، وتعميةً وتصريحاً وتلويحاً، وتمييزاً وإيهاماً، وإجمالاً وتفصيلاً، وكناية ومجازاً، واستعارةً

وتشبيهاً، ومثالاً وأصلاً، وإشارة وتلويحاً، ولحناً ودليلاً، وأنَّ العلوم متشتتة، والمطالب مختلفة، والاصطلاحات متفاوتة، والدقائق كثيرة، وشاع بينهم وذاع حتَّى خرق الأسماع وملأ الأصقاع، أن لا مشاحّة في الاصطلاح.

وعلى هذا فالعارف والمتوقِّف هم السالمون، والمكذِّبون والمصدِّقون عن غير بصيرة هم الهالكون، إذ الأوَّلون يشملهم قوله تعالى: ﴿بَلْ كذَّبُوا بمَا لَم يُحِيطُوا بِعلمِهِ ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيله﴾[1]، بعد إقامة الدليل وايضاح السبيل، من أنَّ الكلام ليس مجراه واحداً وأنَّ البيان لا ينحصر في طور غير متعدِّدة، فلا يسعه التكذيب والتشنيع إلَّا بعد الإحاطة والاطلاع على مراد المتكلِّم وحصول القطع بمراده، وذلك إمَّا بتنصيصه أو بحصول القرائن القطعيَّة.

وقد اتَّفق علماء الأُصول على أنَّ الظواهر لا حجَّة فيها مع التمكُّن من النص، لأنَّ الأوَّل يفيد الظنَّ، والثاني يفيد القطع، وحرمة العمل بالظنِّ مع التمكُّن من القطع من أجلى البديهيَّات وأوضح الواضحات، مع أنَّ في الاكتفاء بالظواهر عند عدم التمكُّن من النص في أمثال هذه المقامات نظر ظاهر،إذ لم يقم عليه اجماع ولا دليل قاطع، فليقتصر على حدِّ الضرورة في الأحكام الشرعيَّة الفرعيَّة، مع أنَّ في كلام مولانا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ ليس ما يدلُّ في ظاهره على ما ينافي ما عليه الفرقة المحقَّة،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٩.

بل ما يذكر كلاماً غير معروف عند العوام إلَّا ويذكر بعده بياناً لذلك الكلام، بحيث يرفع الظلام وتدفع شبهة الأنسام.

إلَّا أنَّ من نظر إلى الكلام ولم ينظر إلى قراءته وبياناته، يكون كمن قال: إنَّ الله تبارك وتعالى حرَّم الصلاة ونهى عنها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ﴾[1]، والنهي دليل الحرمة فتكون الصلاة محرَّمة، ولم ينظروا إلى ما بعد الآية من القرينة المعيِّنة، وهكذا حال المكذِّبين النَّاظرين في كلام شيخنا وأستادنا فافهم.

نظروا إلى بعض الكلام ولم ينظروا إليه على التمام، ليروا بدراً لامعاً ونوراً ساطعاً، بل أخذوا البعض وحذفوا الآخر لإظهار بواطنهم والله سبحانه أعلم بهم وبسرهم، يعاملهم حسبما يفترون ويجزيهم على ما يصفون: ﴿سَيَجْزِيهِم وَصْفَهُم إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ألا ترى أنَّه ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ ذكر في هذه العبارات المنقولة في مسألة المعراج، بعدما ذكر أنَّه ﷺ عند كلِّ مرتبة منها ـ أي من العناصر ـ مثلاً ـ أي نسباً وهيئات ـ مع أنَّه ما يدلُّ على شيء ممَّا توهَّموا. استدرك سؤالاً إيضاحاً للأمر وتبييناً للحكم، بقوله ﷺ: «لا يقال على هذا إنَّه قول بعروج الروح خاصَّة» وساق الكلام في تتميم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٨.

السؤال وتبيين الجواب إلى أن قال: «وإلَّا فهو على ما عليه من التجسُّد والتحفيظ [١]... إلخ».

وهل يكون تصريح أعظم من هذا، في عروج الجسم الجسدي في القالب البشري؟! وهل يبقى مع ذلك اشتباه، أو ظاهر يدلُّ على عروج الروح من غير جسد إذ الظاهر حينئذ !! ولكنَّ الأمر كما قال الشاعر:

عين الرضا عن كلِّ عيب كليلةٍ
كما إنَّ عين السخط تبدي المساويا

فظهر لك ممَّا بيَّنا: أنَّ المكذِّبين لا حُجَّة لهم في إظهار التكذيب، وبل حجَّتهم داحضة عند ربِّهم. وأمَّا المصدِّقون عن غير بصيرة فليسوا بمعذورين أيضاً، لأنَّ الدين الذي ليس بمحكم ـ بحيث يزول مع كلِّ كلام ـ ليس بدين، وإنَّما هو تقليد محض، وللمتديِّن لابدَّ من أخذ أُصول محكمة وقواعد متقنة مصحَّحة، معروضة على مذهب الفرقة المحقَّة وإجماع الطائفة الناجية، ويجب عليه ردُّ كلِّ ما يرد عليه بذلك الأصل المحكم، ويأخذ ما يوافقه ويترك ما خالفه.

وإن كان من كلام من يعتقد حقِّيته، فيجعله من المتشابهات ويرد علمه إليه، وينسب القصور إلى نفسه، لا أن يعتقد بكلِّ كلام ويأخذ بظاهر كلِّ بيان، وإن كان بظاهره ينافي الملَّة البيضاء والشريعة الغرَّاء، فلا عذر له

---

(١) والتخطيط (ظ).

إذا ضلَّ وغوى بعد وضوح هذه القاعدة المقرَّرة، وشيوع هذه الطريقة المحقَّقة.

وأمَّا العالم النحرير والكامل الخبير، فهو كما قال الشاعر:

عليَّ نحتُ المعاني من مواضعها

وما عليَّ إذا لم يفهم البقر

و [الوجه] الثاني: [سيراً على نهج أهل العصمة عليهم السلام]

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾[١]، وقد قال مولانا الرضا عليه السلام: «إنَّ في كلامنا ـ ككلام الله ـ محكماً ومتشابهاً وعامّاً وخاصّاً ومطلقاً ومقيداً»[٢]، الحديث ـ نقلت بعضه بالمعنى ـ فإذا كان التأسّي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ممَّا سنَّه الله وفرض، فالمؤمن المخلص هو أن يتأسَّى به في جميع أفعاله وأحواله، من الأمور الغير المختصّة به صلى الله عليه وآله وسلم،[٣] فيجري كلامه كما أجراه صلى الله عليه وآله وسلم، فالاعتراض مشترك الورود والجواب الجواب.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ١٨٥.

(٣) ذكر المحقق الحلي في كتابه «شرائع الإسلام» بعض الأمور المختصة به صلى الله عليه وآله وسلم، راجع ج: ١، ص: ٥١٠.

والقول بأنَّ إيراد المتشابهات مختصٌّ بالله تعالى والنبي والأئمَّة عليهم السلام فكلام يشبه الهذيان، إذ لم يدلّ عليه دليل، لا من نصٍّ مقطوع به، ولا من ظاهر مظنون فيه، ولا من ضعيف مشكوك فيه، ولا من عقل قاطع، ولا إجماع واقع، بل معروف خلافه من طريقتهم، والمعارف عكسه من مذهبهم عليهم السلام، ولذا اشتهر عنهم عليهم السلام: «**ادرأوا الحدود بالشبهات**»[1]، «**كذِّب سمعك وبصرك مع من تجد إليه سبيلاً، واحمل فعل أخيك المؤمن على سبعين محملاً صحيحاً**»[2].

وما وقع الإجماع على أنَّ لا اعتبار بالقرطاس، وأن لا يحكم بالكفر بمحض الكتابة، وإن كانت صريحة في الكفر، لعلَّه أراد معنى ما هو غير معلوم من ظاهر اللغة، وما رواه علماؤنا ـ رضوان الله عليهم ـ في مصنَّفاتهم في الإمامة كالديلمي في (الإرشاد) وغيره في غيره، من أنَّ أعرابيّاً أتى إلى عمر بن الخطاب وقال: أنا أكره الحقَّ وأُحبُّ الفتنة، وأشهد بما لا أرى ولا أعلم، وأعلم ما [لا] يعلمه الله، وعندي ما ليس عند الله، وأنا ربكم، فغضب عمر وحكم بكفره وأمر بضرب عنقه، وكان أمير المؤمنين حاضراً فقال عليه السلام: مه يا عمر فإنَّ الأعرابي ما قال إلَّا حقّاً، ولكنَّكم ما فهمتم كلامه.

أمَّا قوله: إنِّي أكره الحق، فإنَّ الموت هو حقٌّ وهو يكرهه. وأمَّا قوله: أنِّي أُحبّ الفتنة، فإنَّ الفتنة هي المال والأولاد لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ**

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ١٨، ص: ٣٣٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج: ٨، ص: ٤١٦.

﴿وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١] ويحب المال والولد. أمَّا قوله: إنِّي أعلم ما لا يعلمه الله، وهو يعلم لله شريكاً ـ في الفرض ـ والله سبحانه يقول: ﴿أَمْ تُنَبِّؤُنَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾[٢] أمَّا قوله: عندي ما ليس عند الله، فعنده الظلم وليس عند الله، وأمَّا قوله: أنا ربكم، والكم مفرد الأكمام لا ضمير مخاطب، الحديث بالمعنى[٣].

والعاقل المنصف إذا شاهد هذا الحديث لقبول المتفق على صحَّتها، لا يبقى له لهذا القول الشنيع والرأي الفضيع، فالقول: بأنَّ عصمة الإمام عليه السلام قرينة واضحة لعدم المخالفة لمذهب الفرقة المحقَّة، ووجوب تأويل كلامه عليه السلام وصرفه إلى المعروف من المذهب، والتوقُّف عند الجهل بكيفيَّة التأويل، بخلاف غير المعصوم، فإنَّه لا دليل على التأويل، فيجب الحمل على ما يظهر كلام فاسد وتوهُّم كاسد، فإنَّ الأعرابي يبطله ويفسده، وكذلك الرِّوايات المتقدِّمة، والأدلَّة القطعيَّة من العقليَّة والنقليَّة الدالَّة على عدم القول بما لا يعلم، فإنَّ القائل إذا علم انتسابه إلى مذهب ودين فإخراجه عنه والحكم عليه بخلافه بالألفاظ القابلة للاحتمالات الكثيرة

---

(١) سوره التغابن، الآية: ١٥.

(٢) سورة الرَّعد، الآية: ٣٣.

(٣) راجع بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ٢٨٦. وأيضاً في الفصول المهمة، ص: ١٨. وأيضاً في المناقب، ج: ٢، ص: ٣٥٨. وكذلك في الصراط المستقيم، ج: ٢، ص: ١٥.

المتعدِّدة، والظواهر المفيد للظن والتخمين، جرأةً على الله ورسوله والأئمَّة الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ولا شكَّ أنَّ كل منتسب إلى كلِّ مذهب ودين، يعرف بالانتساب إلى ذلك المذهب وتلك الطريقة، وذلك معلوم واضح لمن له عينان وله قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وما ورد من النهي عن تأويل كلام الصوفيَّة على ما رواه الأردبيلي في حديقة الشيعة: «ألا فمن مال إليهم وأوَّل كلماتهم فإنَّا منهم براء، قيل: وإن كان المائل من محبِّيكم، فنظر عليه السلام إليه شبه المغضب، وقال: من قال لحقوقنا لم يذهب إلى عقوقنا»[1] فنحن نقول بموجبه ونتبرَّء إلى الله ممَّن يأوِّل كلمات الصوفيَّة المحلدين، فإنَّهم الكفرة أعداء الدين، ولكن ذلك بعد إثبات تصوُّفهم لا بمحض الاحتمال والظن والتخمين، فإنَّ ذلك لا يثبت به الدين ولم يقم به الشرع المبين، كيف؟! والله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه الحكيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المحْصَناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ**﴾[2]، ولا شكّ أنَّ الرَّمي بالكفر أشنع وأقبح من الرمي بالزنا، والرمي بالتصوُّف أقبح من الرمي بالكفر، لأنَّه جامع لجميع مراتب الكفر وطبقاتهم ودرجاتهم، والمؤمن أكرم عند الله من المؤمنة، والعالم والعارف المسمَّى في روايات أهل البيت عليهم السلام بالمؤمن الممتحن أكرم عند الله من

---

(١) حديقة الشيعة، ص: ٥٦٣، س: ٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٣.

العالم، فانظر ماذا ترى من التفاوت الفاحش، فإنَّ الله تعالى لعن الرامي للمحصنة قبل أن تقوم البيِّنة المقرَّرة في الشريعة، فكيف من يرمي المؤمن العالم العارف بالكفر والتصوُّف والغلق، قبل أن يقوم عليه البيِّنة الشرعيَّة؟!

وهل يكون العثور على بعض الألفاظ المتشابهة والكلمات المحتملة للاحتمالات المتساوية ـ على فرض تحقُّقها ووقوعها ـ يكون بيِّنة؟! ألستم تقول: إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال. وفي هذه المقامات تكفي الاحتمالات البعيدة الضعيفة فكيف بالمتساوية بل الراجحة، أما كفاكم بهذه الآية المباركة الشريفة رادعاً وزاجراً.

وذكري الكلمات المتشابهات فرض وتقدير وتغليظ للأمر، وإلَّا ففي كلام مولانا وأستادنا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ ليس فيه ما يوهم التشبيه والاشتباه، أو يكون ظاهراً فيما ينافي ما عليه الفرقة المحقَّة ـ حاشا وكلَّا ـ بل ما صدر منه إلَّا وقارنه ببيان فصيح وذكرٍ صريح، يكشف معضله ويفتح مقفله لمن يفهم ويعرف ويحكم وينصف، ولكن الأمر كما قال الشاعر:

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة

فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

فقبل وضوح الأمر ثبوت المخالفة كيف يدخل في قوله: ألا فمن أوَّل كلماتهم، ثبِّت العرش ثمَّ انقُش، وهل بعد تصريح بأنَّ مرادي من هذا الكلام هذا المعنى الصحيح لا الذي توهَّمت فهل يبقى للتأويل مجال؟!

أليس هو النص في المطلوب، وهل سمع من أحد من الجهَّال ـ فضلاً عن العلماء ـ أنَّ الظاهر يعارض النص أو يكون الظاهر حجَّة بعد تحقُّق النص، أليس النص بالنسبة إلى كل كلام تنصيص القائل بمراده وتصريحه بما في باله؟!

وما أشبه هذه المعارضة بقول ذلك الحشوي الصوفي لمَّا حضر عند مولانا الصادق عليه السلام وذكر أنَّه ممَّن يروي الحديث من العلماء، وقال له الصادق عليه السلام اذكر لنا ممَّا سمعته ورأيته، فقال: أخبرني سفيان الثوري عن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام أنَّه قال: إنَّ الله تعالى تجلَّى لموسى عليه السلام بصورة شاب أمرد، وذكر روايات أُخر من هذا القبيل ونسبها كلَّها إلى الصادق عليه السلام. ثمَّ قال له الإمام عليه السلام: هل تعرف جعفر بن محمَّد قال: لا. قال عليه السلام: لو عرفته وقال لك إنَّ هذا القول ليس قولي وأنا بريء من هذه العقائد، هل تقبل منه أو لا؟ قال: لا، لأنَّه الذي أخبرني أوثق منه، (ذكرت مختصر الحديث بالمعنى إذ لم أحفظ لفظه، وهو مذكور بطوله في كتاب العوالم والبحار).

وما نحن فيه بعينه ذلك، قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[2]، فافهم الكلام، وعلى من يفهم الكلام السلام.

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

[الوجه] الثالث:
[حذواً بالعلماء الأعلام]

إنَّ ما ذكرتم ليس قدحاً في الشيخ ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ وحده، بل هو قدح في عامَّة علماء الشيعة وأساطين الشريعة، إذ لم يسلم منهم أحد غالباً إلَّا وذكر ما في ظاهره المنافات والمخالفة لظاهر الشريعة.

[الشيخ الصدوق قدس سره]

مثل ما ذكره الصدوق قدس سره في إثبات السهو على النبي صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام كما قال في الفقيه: «وكان شيخنا محمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول أوَّل درجة في الغلوِّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله، ولو جاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن نرد جميع الأخبار، وفي ردِّها إبطال الدين والشريعة، وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب منفرد في إثبات سهو النبيِّ صلى الله عليه وآله والردِّ على منكريه إن شاء الله تعالى»[1].

وقال أيضاً فيه: «قال مصنِّف هذا الكتاب: إنَّ الغلاة والمفوِّضة ـ لعنهم الله ـ ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وآله ـ إلى آخر كلامه»[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ٢٣٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ٢٣٤.

وأنت خبير بأنَّ عصمة الأنبياء عن السهو والنسيان من ضروريَّات مذهب الشيعة، مع أنَّ الصدوق أنكره ولعن من ينكر السهو، فلو حملت هذا الكلام على ظاهره لزم شمول اللعنة على جميع الشيعة وعلمائهم، ويلزم منه خروجه عن المذهب، مع أنَّه لم يطعن عليه أحد بذلك، ولم ينسبه أحد إلى الخروج عن المذهب ولا إلى الإهانة بالدين حيث لعن أساطين العلماء من الشيعة المخلصين المنكرين لسهو النبي والأئمة عليهم السلام، فيجب أن يجعل سهوه على الإسهاء والنسيان إلى الإنساء واللعن على من يقول بعدم سهوهم مستقلَّة. وكيف ينسب مثل الصدوق إلى الخروج عن الدين مع عظم شأنه ونبالة مكانه؟! وشهد له الإمام القائم عجَّل الله فرجه بالخير والسعادة.

[السيد المرتضى قدس سره]

ومثل ما ذكره السيد المرتضى في رسالة له مختصرة: «بأنَّ الله ليس إلٰهاً للجوهر الفرد والأعراض» وهذا ـ كما ترى ـ صريح في إنكاره لضرورة الدين، فإنَّ الله سبحانه إلٰه كلِّ شيء وخالق كلِّ شيء ووارث كلِّ شيء، ولم ينسبه رحمه الله أحد من العلماء إلى هذا، بل حكموا عليه بالوثاقة في أعلى مراتبها. فظهر أنَّهم لم يحملوا كلامه على ظاهره، بل وجَّهوا له توجيهاً وجيهاً وذكروا له محملاً صحيحاً مطابقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام وما عليه فرقة المحقَّة، ولو حملت العبارة على ظاهرها لم يكن شيء أصرح منها

في الدلالة على الكفر والزندقة.

وهي بالضرورة أصرح بالدلالة على المخالفة من عبارات شيخنا وأستادنا ـ أعلى الله درجته، ورفع في عليِّين منزلته ـ ولست أدري ما بالهم يأوِّلون هنالك ولا يأوِّلون هنا؟!.

[العلامة المجلسي ﷺ]

ومثل ما ذكره العلّامة المجلسى ﷺ في رسالته الفارسيَّة المسمَّاة بصراط النجاة، وذكر فيه المقدورات ثمَّ قال كلاماً حاصله: «إنَّ المقدورات ثلاثة: منها ما هو مقدوراً لله وليس مقدوراً للخلق، ومنها ما هو مقدور لله وللخلق، ومنها ما هو مقدور للخلق وليس مقدوراً لله»[1] وهذا كما ترى بظاهره يدلُّ على أنَّ الخلق أقدر من الله تعالى، وهذا مخالف لضرورة الإسلام، وهل يجوز لعاقل نسبة هذا الأمر الشنيع والفضيع إلى مثل هذا العالم الربَّاني والفاضل الصمداني، الناشر للأخبار والغوَّاص في بحار الأنوار؟

ولهذا لم ينسبه أحد إلى هذا القول وما هذا إلَّا لأنَّهم صرفوا كلامه ﷺ من ظاهره وأوَّلوه بما يطابق الحقّ، فلو لم يكن التأويل والحمل ووقوع المتشابه شيئاً معلوماً عندهم لما صدر منهم أمثال هذه الكلمات.

---

(١) صراط النجاة، ص: ٣٦ و ٣٧.

[المقدَّس الأردبيلي ﷺ]

مثل ما ذكره المقدَّس الأردبيلي ﷺ في حاشيته على الحضرمي، من جوازه التركيب العقلي على الله، مع أنَّ كون التركيب مطلقاً علامة الحدوث ممَّا أجمع عليه المسلمون، بل المليُّون، بل كافّة العقلاء، فوجب حمل كلامه على معنى صحيح، إذ لم يجعله أحد من العلماء قادحاً في وثاقته، فضلاً عن عدالته، فضلاً عن إيمانه، فضلاً من إسلامه، ولو لم يجز الحمل والتأويل لكان هذا القول صريحاً في الكفر والزندقة، وجلالة شأن القائل تأبى عن ذلك.

[المحقق الخوانساري ﷺ]

ومثل ما ذكره المحقِّق الخوانساري آقا جمال في حاشيته على حاشية قديم التجريد: من جواز انتزاع الأزمنة الغير المتناهية والمدد اللَّانهاية لها من ذات الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ ذات الله تعالى بذاته منشأ لهذه الإنتزاعات. وهذا كما ترى بظاهره يستلزم الانفصال والاقتران، وقد أجمع العلماء وكافَّة المسلمين وغيرهم على أنَّ أكوان الأربعة التي هي: الاقتران والاجتماع والحركة والسكون من علامات الحدوث، مع أنَّه لم يطعن في هذا المحقِّق بالكفر والخروج عن الدين أحد من العلماء، وليس هذا إلَّا لحمل كلامه وتأويله وصرفه عن ظاهره كما هو الطريقة المقرَّرة للعلماء خلفاً عن سلف.

[الملّا محسن الكاشي ﷺ]

وما ذكره الملّا محسن الكاشي صاحب الوافي والصافي، وله كلمات قبيحة بظاهرها يخالف الشريعة والملّة، وأنا أذكر لك شطراً ممّا أحفظ من عباراته بألفاظه.

منها: ما ذكره في الكلمات المكنونة: «أنَّ الوجود إن أُخذ بشرط شيء فهو الوجود المقيَّد، وإن أُخذ بشرط لا شيء فهو الوجود العام البديهي، وإن أُخذ بلا شرط فهو الوجود المطلق، وهو الذي يطلق على الله دون الأوَّلين، وهذا الوجود في نفسه ليس بمتكثِّر ولا متعدِّد ولا مختلف بل تلزمه هذه المراتب بحسب مراتبه ومقاماته المنبَّهة عليها بقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[1] فيصير كليّاً وجزئيّاً وجنساً وفصلاً من غير حصول تكثُّر في ذاته»[2].

انظر الآن في هذا الكلام وتصريحه بالقول بوحدة الوجود الذي أجمع المسلمون على بطلانه وتكفير القائل به، وذكر اصطلاحه في الوجود المطلق إذا أُطلق بالمعنى المذكور، ولا أراكم تحكمون بكفره مع أنَّ عبارات مولانا وأُستاذنا ـ أعلى الله مقامه ـ لا تبلغ معشار ما في هذا الكلام من التصريح بالمخالفة لضرورة الإيمان والإسلام.

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٥.

(٢) الكلمات المكنونة، ص: ١٦.

منها: ما ذكره بكلماته أيضاً بما لفظه: «ذات الإسم الباطن بعينه هو ذات الإسم الظاهر، والفاعل بعينه هو القابل، والأعيان الثابتة عينه الغير المجعولة والفعل والقبول له يدان وهو الفاعل بإحدى يديه والقابل بالأخرى، والذات واحدة والكثرة نقوش، فصحَّ أنَّه ما أوجد شيئاً إلَّا نفسه وليس إلَّا ظهوره»[١].

ومنها: ما ذكره فيها، في بيان القدر وسرِّه وسرِّ سرِّه، وساق الكلام إلى أن قال: «وسرُّ سرِّ القدر أنَّ هذه الأعيان (الثابتة) ليست أموراً خارجة عن ذات الحق سبحانه، بل هي ذاتيَّات وآنيَّات للحقِّ، وذاتيَّات الحق لا تقبل الجعل والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان»[٢].

منها: ما ذكره فيها أيضاً[٣]: «دريا چون نفس زند بخارش گويند، چون متراكم شود ابرش می گويند چون فرو ريزد بارانش نام نهند چون جمع شود سيلش گويند و چون به دريا پيوندد

فالبحر بحر على ما كان في قدم
إنَّ الحوادث أمواج وأنهار
لا يحجبَّنك أشكال تشكّلها
عمَّن تشكَّل فيها وهي أستار

(١) الكلمات المكنونة، ص: ٦١.
(٢) الكلمات المكنونة: ٩٤ـ٩٥.
(٣) الكلمات المكنونة، ص: ٤٠.

منها: ما ذكره فيها[١]: مجنون بحسب ظاهر هر چند طالب جمال ليلى بود ليكن ليلى اينهٔ بيش نبود، ليلى ديد و خود را دوست مى‌داشت.

حسن آز حق است و عشق از حق

نامى بر ما ز عشق بازيست

منها: ما ذكره فيها[٢]:

جمال يا ركه پيوسته بى‌قرار خوداست

چه در قفا وچه در جلوه برقرار خوداست

هم اوست عاشق و معشوق و طالب و مطلوب

براه خويش نشسته در انتظار خوداست

منها: ما ذكره فيها[٣]:

گاه خورشيدى و گه دريا شوى

گاه كوه قاف و گه عنقاشوى

از تو اى نقاش با چندين صور

هم مشبّه هم منزّه خير و شر

وأمثال هذه الكلمات فيها أكثر من أن تحصى، لو أردنا استقصاءها لطال بنا الكلام.

---

(١) الكلمات المكنونة، ص: ٨٧.

(٢) الكلمات المكنونة، ص: ٢٩.

(٣) الكلمات المكنونة، ص: ٤٤.

منها: ما ذكره في الوافي في باب المشيئة والإرادة: أنَّ المشيئة أحديَّة التعلُّق وهي نسبته تابعة للعلم، والعلم نسبته تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك[١].

وله من أمثال هذه الكلمات ما لا يحصى ولا يستقصى، ذكرنا نوعاً منها تنبيها للغافلين وإرشاداً للمسترشدين وإيقاظاً للراقدين، ممَّن يُصدِّق أو يكذِّب أو يتوقَّف فافهم.

[الملا مهدي النراقي ﷺ]

منها ما ذكره العالم الحكيم الملَّا مهدي النراقي في كتابه المسمَّى بمشكلات العلوم في ذيل موثَّقه عمَّار الساباطي في المعاد، وساق الكلام إلى أنَّه ذكر: «أنَّ الجسم يشتمل على الأجزاء الأصليَّة والأجزاء الفضليَّة، وأنَّ الواجب في المعاد عود الأولى لا الثاني ـ وساق الكلام إلى أن قال ـ: ولو قلنا بعدم عود الأجزاء ـ أصلاً أصليَّة كانت أو فضليَّة وعود الطينة التي خلق الجسم منها ـ كما في الحديث ـ سواء فُسِّرت الطينة بالنفس الناطقة أو غيرها كما في القول بالعود الجسمي»[٢] وهذا معنى مختصر كلامه إذ لم أحفظ بلفظه.

وهذا كما ترى لمخالفته لكافَّة المسلمين، بل وغيرهم من المليِّين

---

(١) الوافي، ج: ١، ص: ٩٨.

(٢) مشكلات العلوم، ص: ٨٥.

القائلين بالمعاد الجسماني، ولولا حمل كلامه على المعنى الصحيح وصرفه إلى وجه وجيه كان ينسب هذا العالم الكامل إلى الخروج من الملَّة والدين، مع أنَّه لم ينسبه أحد إلى هذا ولم يطعن عليه بهذا مع أنَّه من أساطين العلماء وزبدة الفقهاء والحكماء.

[الشيخ الحسين النجفي قدس سره]

منها ما ذكره الشيخ العالم الورع الشيخ الحسين النجفي في بعض قصائده[1] في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أحفظ بيتاً منها وهو قوله:

هو صنع الإله والخلق طرَّاً صنع من كاد أن يكون إلها

وقال أيضاً:

إذا كان إيجاد العوالم عنهم

فلا تلم الغالي وإن ضلَّ في الدعوى

وهذا كما ترى صريح في أنَّه عليه السلام وأهل بيته هم العلل الفاعليَّة في إيجاد الأشياء وخلق العوالم، وأنتم تقولون إنَّ هذا خلاف ضرورة المسلمين، مع أنَّ هذا الشيخ العظيم الشأن قد اتَّفقت ألسن العامَّة والخاصَّة على توثيقه وجلالة شأنه ونبالة مكانه، وما هذا إلَّا لأنَّهم لم يحملوا كلامه إلى ظاهره، بل حملوه على معنى صحيح ووجَّهوه بتوجيه وجيه، يوافق ما

---

(١) قال الخاقاني في كتاب (شعراء الغري) في ترجمة الشيخ المذكور ص: ١٦٦، ديوان شعره لا يزال مخطوطاً.

عليه الفرقة المحقَّة وغيرهم من العلماء الكاملين والحكماء الرَّاسخين.

ولو أردنا ذكر بعض ما لهم من الكلمات المتشابهات من اختصار العبارات المغلقة المجملة لطال بنا الكلام وأخرجنا عمَّا نحن فيه من اختصار المقام، وفيما ذكرنا كفاية لأُلي الدراية إذ يدرك الذكّي بنظر واحد ما لا يدركه البليد بألف شاهد.

فلو كان ذكر الكلمات المتشابهة قدحاً في المتكلِّم قبل الالتفات إلى المعروف من مذهبه وما يذكره من القرائن الموضحة لمطلبه، لوجب الحكم بكفر هؤلاء الأجلَّاء الكرام من أساطين العلماء الحاملين للمذهب والدين والحافظين لآثار سيد المرسلين عليه وآله صلوات المصلِّين أبد الآبدين، والحكم بكفرهم كفر بالله ربِّ العالمين. مع أنَّ عبرات مولانا وأُستاذنا ـ أعلى الله مرتبته، ورفع في فسح الجنان منزلته ـ لا تبلغ معشار معشار ما في عبائر هؤلاء الأجلَّاء والأكابر العظماء، فالقدح فيه وفيهم قدح في أئمَّتهم عليهم السلام والقدح فيهم قدح في الله، فاختر لنفسك ما تحلو فإنَّ ما ذكرنا تمام الكلام وعلى من يفهمه السلام.

[إشكالات وردود]

ولعلَّ بعض القاصرين الغير المتأمِّلين في حقيقة الأمر يقول: لو كان الأمر كما ذكرت من وجوب حمل الكلام بما يوافق المذهب والدين فلماذا طعن الشيخ ـ أعلى الله مقامه ـ على جماعة من الموحِّدين مثل الملَّا

محسن الكاشي والملّا صدرالدين الشيرازي وغيرهما من العلماء والحكماء؟ بل ربما حكم بكفرهم وذكر قبائح كلماتهم وفساد عقائدهم، وهلّا راعى هذه القاعدة المقرَّرة فيهم وحمل كلامهم على وجه وجيه ومحمل صحيح؟؟

ثمَّ إنَّ العلماء لم يزل ديدنهم ورأيهم في مقام التوثيق والجرح والتعديل على ظواهر العبارات والكلمات والألفاظ فإنَّها سفراء المعاني كما هو الظاهر من تتبُّع كتب الرجال، ولولا ذلك لم يعرف علماء الخاصَّة من العامَّة وأهل الإسلام من أهل الكفر، لأنَّ التأويل والتوجيه يجري في كلِّ كلام حتَّى في قول فرعون «أنا ربُّكم الأعلى» إذ يجوز أن يقال: أنا عبد ربّكم الأعلى. وحذف المضاف شائع وذائع، وهذا القول في البطلان بما لا يحتاج إلى البيان، فإذن: فالمدار على مدلولات الألفاظ والكلمات وما يظهر للناظر المتتبِّع.

[لماذا خطّأ الشيخ ﷺ الملّا محسن والملّا صدرا؟]

والجواب: أمَّا على القول بأنَّ الشيخ ـ أعلى الله مقامه، وأنار برهانه ـ طعن في الملّا محسن وحكم عليه بالكفر، فافتراء محض وبهتان صرف، لأنَّ كلامه يحتمل المعاني والتوجيهات الكثيرة الصحيحة، إذ ليس المعتمد هو كلامه، بل الناقلين عنه قرأوا عليه من زمانه إلى هذا الزمان بعضهم عن بعض نقلوا منه ذلك، وكلماته صريحة غير قابلة للتأويل لأنَّه بيَّن مراده،

وقال: إنَّ الوجود المطلق حيث ما يطلق مثلاً لا نريد بـه إلَّا الذات الحـقّ سبحانه وتعالى. كما نقلنا عنه سابقاً، ولا أتى بكـلام ينافيه ولا يـضادُّه، وسائر كلماته متطابقة مع هذا الكلام.

فإذن: يحصل القـطع بـملاحظة كـلامه وتـصريحاته وعـدم إتـيانه بالقرائن أو بالكلمات النافية أو بالبيان الصريح، ونقل النَّقلة والحفظة عنه المعتمد عليهم والموثوق بكلامهم، فإنَّ كلماتهم ومطالبهم تـتوارث مـن سلف إلى خلف من تلميذ إلى تلميذ أن تبقى حقّاً كانت أم باطلة.

ألا ترى علم المنطق، فإنَّه من وضع أرسطاطا ليس وبقى إلى الآن متوارثاً، وهكذا مطالب العلماء الذين بعد عهدهم عنَّا، فإنَّها تصل إلينا على ما هي عليه بالوسائط الأحياء الموجودين المعيَّنين لفهم مراداتهم من تلك المطالب والكلمات، وذلك واضح ظاهر، ومـن لم يـجد فـليسأل الله أن يصلح وجدانه.

فإذا رأينا الناقلين والآخذين عنهم الموثوق بكـلماته يـنقلون عـنه مثلاً: في مسألة الوجود كذا وكذا وعبارته كلُّها متطابقة على ذلك المعنى، ولم يأت بقرينة منافية ولا بعبارة موضحة، بل صرَّح بمراده في مـواضـع كلماته، ولا شكَّ ولا ريب أنَّه ـ حينئذ ـ يحصل القطع بـالمراد، ويـصحُّ حينئذ الاستناد.

وما نقل شيخنا وأستاذنا ـ أعلى الله مقامه ـ عن الملَّا محسن و الملَّا صدرا وأمثالهما كلُّه من هذا القبيل، فإنَّ عباراتهم وكلماتهم كلُّها صريحة

غير قابلة للتوجيه، إلَّا الاحتمالات العقليَّة البعيدة التي نقطع بعدم إرادتها، وإلاَّ لأشاروا إليها في موضع من كلماتهم وعباراتهم، فإذا لم يحصل ذلك للمتتبع التام والمتفحِّص بالفحص البالغ في تلك الكلمات حصل الجزم بالمراد.

وهذا الملَّا محسن صرَّح في غير موضع من كتبه ورسائله، مثل: كتاب عين اليقين والكلمات المكنونة وغيرهما: أنَّ العذاب ينقطع من الكفَّار في النار وليسوا بمخلَّدين في العذاب، وإن كانوا مخلَّدين في النار فإنَّهم يتنعَّمون فيها كما يتنعَّم الجعل في النجاسات والقاذروات. كما قال في عين اليقين: «إنَّ الألم ـ عقليّاً كان أو حسيّاً ـ لابدَّ أن يزول أو يؤل إلى النعيم، فإنَّ القسر لا يدوم»[1] وقال نحواً من هذا الكلام بزيادة شرح وإيضاح في الكلمات المكنونه[2] ولم يأت له بشيء ينافيه ويعارضه، وهكذا قوله في وحدة الوجود، وأنَّ الله تعالى بحر والخلق أمواجه. كما تلونا عليك قبل هذا، وهكذا في غيرها من المسائل. وإذا أردت أن تطَّلع على حقيقة الأمر في ذلك فانظر طويلاً وتأمَّل كثيراً في شرح مولانا وأستاذنا على المشاعر والعرشية.

---

(١) عين اليقين، ص: ٢٩٤.

(٢) الكلمات المكنونه، ص: ١٦٨.

[هل حكم الشيخ بكفر الملّا محسن والملّا صدرا ؟]

ومع هذا كلّه لم يحكم بكفرهما واستغفر لهما، وإن حكم بالخطأ، وقد نصَّ ـ أعلى الله مقامه ـ على ما ذكرنا في أجوبة المسائل الدامغانيَّة [١] حيث قال السائل: وهل يكون هذا الاعتقاد سبباً لدخول النيران أم لا؟

قال ـ أعلى الله مقامه ـ: أقول المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام ومن كلام العلماء أنَّه يكون سبباً لدخول النار والخلود فيها، لإجماعهم على كفر القائل بوحدة الوجود، ولا شكَّ أنّهم لا يعنون غير هذا القول، فإنَّه قطعاً قول بوحدة الوجود، بل بوحدة الموجود، وأمَّا عندي فلا شكَّ في أنهم أخطؤوا طريق الحق واتَّبعوا سبيل الباطل، وأمَّا تكفيرهم فذلك شيء عند الله، وأنا لا أعلم حكمهم عند الله سبحانه وذلك لأمور:

الأوَّل: ما روي عن الباقر عليه السلام ما معناه: «لو أنَّ رجلاً سمع الحديث يروى عنَّا ولم يعقله عقله وأنكره، وكان من شأنه الردُّ إلينا فإنَّ ذلك لا يكفّر»[٢].

وأنا أعلم كثيراً من القائل بهذا، أُناس لهم إيمان وديانة وصلاح واعتقاد عظيم في أهل البيت عليهم السلام، لو علموا بأنَّ هذا القول منافٍ لمذهب

---

(١) مجموعة الرسائل للسيد المصنف، ج: ٢، ص: ٥٢، رسالة ملا محمد الدامغاني (مخطوط).

(٢) بصائر الدرجات، ج: ١٠، ص: ٥٢٤، مع اختلاف يسير.

أئمّتهم وأنه مذهب أعدائهم لتركوه وأنكروه، ولكن شُبِّه لهم، فلأجل هذا سكتُّ عنهم.

الثاني: العلماء من الفقهاء وقع منهم أُمور عظيمة في المعتقدات نقطع بمخالفتها لمذهب الأئمّة عليهم السلام، ولم يحكم أحد من العلماء بكفرهم، مثل قول السيِّد المرتضى في رسالته: بأنَّ الله تعالى ليس إلٰهاً للعرض ولا للجوهر الفرد، لأنَّ الإله هو المنعم، وهذان لا يحتاجان إلى المنعم والمدد، فلا يكون إلٰهاً لهما. ـ نقلته بالمعنى ـ ومن ذلك ما وجدته في رسالة الشيخ الطوسي رحمه الله ما معناه: «أنَّه قال: إنَّ الله سبحانه ليس في مكان وإلَّا لمازج القاذورات».

ومن ذلك: اختلاف العلماء في قدم المشيئة وحدوثها، حتَّى قال الأكثرون بقدمها، حتَّى أنَّه روى الصدوق في التوحيد عن الرضا عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أنَّ الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحِّد»[1].

وقد ذكر الشهيد رحمه الله في الذكرى: بعد أن ذكر أنَّه لا يجوز أن يقتدي الرجل بمن يخالفه في شيء من الواجب مبطل للصلاة بالإخلال به، كما لو كان المأموم يرى وجوب السورة والإمام يرى الإستحباب، أمَّا لو كان الخلاف في المسائل الأُصوليَّة التي يدّق مأخذها ـ كالقول بقدم المشيئة

(١) رواه عن التوحيد في بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٧.

وحدوثها ـ فإنَّ ذلك لا يضر بالائتمام[١]. وهو شهادة منه بالتسامح فيما يدِّق مأخذه، مع أنَّه لم ينقل في ذلك اختلافاً.

ومن ذلك وقوع كثير من الاختلافات الشنيعة في الأُصول والفروع في زمان الأئمّة عليهم السلام، بما يطول نقله وربَّما أنكروا بعضه. مثل ما قيل للإمام عليه السلام فيما ذهب إليه هشام بن الحكم بأنَّ لله جسماً، وهشام بن سالم بأنَّ لله صورة[٢]، وأنكر ذلك وتعوَّذ منه ولم يحكم بكفرهما، وأمثال ذلك كثير. فلهذا وقفت عن القول بالتكفير وجاهرت بالتخطئة لعلَّه يذَّكر أو يخشى[٣]. (انتهى كلامه، رُفع في الخلد أعلامه).

فظهر لك: أنَّ ما نسبوا إليه رحمه الله من تكفير الملَّا محسن والملَّا صدرا افتراء محض وبهتان صرف كما سمعت كلامه بالبرهان، فليس وراء عبادان قرية.

[لماذا لا يجري في كلامه ما جرى في كلامهم ؟]

فإن قلت: إنَّه يجري في كلام مولانا الشيخ قدس سره ما أجريته في كلمات أُلئك، من حصول القطع بالكلمات الصريحة الواضحة المنافية للحق، وعدم الإتيان بشيء ينافي كلامه الأوَّل.

---

(١) الذكرى، ص: ٢٧٣ و ٢٧٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج: ٢، ص: ٥٤٧، ح: ٥٠٣.

(٣) أجوبة المسائل الدامغانيَّة (مخطوط).

قلت [أوَّلاً]: إنَّ ذلك قياس مع الفارق، بل لا نسبة بين كلام مولانا وأستادنا وكلام أُولئك الأشخاص، فإذا ذكرنا لك أنَّ مطالب أُولئك وصلت إلينا بنقل النقلة عن سماعهم وقراءتهم من جهة التوارث، لا بمحض العبارة والكتابة وحدها، وهنا التلامذة الموثوق بهم في النقل عن مولانا بأجمعهم يصرِّحون بخلاف ما تقوله الناس الذين يوسوس في صدورهم الخنَّاس، وهؤلاء المعترضون لا سمعوا كلاماً ولا عرفوا منه مراماً، فإذاً: أي اعتناء بنقلهم وأي التفات بتصريحهم، وقد واجهت بعض أشباه الناس وذكر أنَّ الشيخ يقول بعدم إعادة الجسم العنصري، وذلك كفر مخالف لضرورة الإسلام.

فقلت له: يا هذا أتدري أنَّ الجسد في اللغة على كم معنىً من المعاني يطلق؟! وعلى كم وجه ينصرف؟! وعلى كم اصطلاح يستعمل؟! وما تلك المعاني والاصطلاحات؟ فبهت ولم يحر جواباً.

ثمَّ قلت: أليس يقبح بالرجل أن ينسب الكفر والزندقة إلى كلام لا يعرف وجوهه وتصاريفه، ولا يعرف معانيه اللُّغويَّة من المشهورة والغير المشهورة، فلعلَّ بعض تلك المعاني يوافق الحقَّ ويطابق المذهب، وهل يجب على العالم أن لا يتكلَّم إلَّا على حسب متفاهم العرف والعوام؟! إذن للعوام أن يُخطِّئوا العلماء فيما لم يفهموا، ويرمونهم بالكذب والزور، وإلى الله المشتكى [1].

---

(١) لعل هذه الحادثه هي التي أوردها المصنف في كتابه «دليل المتحيرين» عن

وثانياً: ما صدر منه ـ أعلى الله مقامه ـ كلاماً بعيداً عن فهم العوام إلَّا وقد قرنه ببيان صريح من تصريحات عباراته وإشاراته، حتَّى لا يتوهَّموا خلاف الحقِّ.

[المراد بالجسد العنصري]

ألا ترى في مسألة المعاد لمَّا ذكر الجسمين والجسدين وحكم بأنَّ الجسد العنصري لا يعود، ذكر المراد من الجسد العنصري الغير المُعاد قال[1]: ومعنى كلامي ومرادي هو أنَّ الإنسان له جسدان وجسمان، الجسد الأوَّل مركَّب من العناصر الأربعة المحسوسة، وهو الآن في هذه الدنيا عبارة عن الكثافة العارضة، وفي الحقيقة هو الجسد الصوري، ومثاله الخاتم من الفضَّة مثلاً، فإنَّه إذا كان عندك خاتم من فضَّة فإنَّ صورته هي الاستدارة الحلقيَّة وتركيب موضع فصّ المركَّب منه مثلاً، فإذا كسرته وأذبته وجعلته سبيكة، وسحلته بالمبرد وجعلته سحالة، ثمَّ بعد ذلك صنعت تلك الفضَّة ـ أعني السبيكة أو السحالة ـ خاتماً على هيئته الأُولى، فإنَّ الصورة الأُولى التي هي الجسد الصوري لا تعود ولكن صنعته على صورة كالأُولى، فهذا الخاتم في الحقيقة هو ذلك الخاتم الأوَّل بعينه من حيث مادَّته، وهو غيره

⇦ المجلس الذي عُقِدَ لبيان مراد الشيخ من بعض العبارات، راجع تفصيل الحادثة في الكتاب المذكور ص: ٩٧.

(١) جوامع الكلم، ج: ٢، ص: ٢٨٠، الرسالة المعادية.

من جهة صورته.

ونعني بالجسد العنصري ـ الذي هو الكثافة البشريَّة ـ هذه الصورة التي هي الجسم الصوري، لأنَّ اعتقادنا الذي ندين الله به ـ ونعتقد أنَّ من لم يقل به ليس بمسلم ـ هو أنَّ هذا الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يُعاد يوم القيامة، وهو الذي يدخل الجنَّة أو النار، وهو الخالد الذي خلق للبقاء، وهو الذي نزل إلى هذه الدنيا من ألف ألف عالم حتَّى وصل إلى التراب ـ إلى أن قال ﷺ ـ: فهذا الجسد المحسوس هو بعينه المُعاد وهو بعينه متعلَّق الثواب والعذاب، لا يشكُّ في ذلك إلَّا من يشكُّ في إسلامه، لأنَّ هذا من أُصول الإسلام.

ـ إلى أن قال ﷺ ـ: مثل الماء الذي هو لطيف فإذا جمد لبس الصورة الثلجيَّة، فإذا ذاب عاد إلى أصله من غير أن يختلف إلَّا محض الصورة المعبَّر عنها بالجسد العنصري، فإذا جمد ذلك الماء مرَّة ثانية لم يعد إليه الجمود الأوَّل، وليس جموداً ثانياً، مع أنَّه بعينه هو ذلك الماء لم يتغيَّر، مع أنَّه هو قد تغيَّر جموده، وهذا هو مرادنا بذهاب الجسد الأوَّل الذي لا يعود. فالموجود في الدنيا بعينه هو جسد الآخرة بعينه والمرئي بالبصر.

ـ إلى أن قال ﷺ ـ: ثمَّ يُصفَّى في الأرض، بمعنى: أنَّ الأرض تأكل جميع ما فيه من الغرائب والأعراض والكثافات، المعبَّر عنها بالجسد العنصري، ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه ـ أعني الموجود في الدنيا بعينه ـ هو الذي يخرج يوم القيامة بعد أن يُصفى، ومعنى قولنا بعد أن

يصفى: هو أن يذهب عنه الجسد العنصري، ومعنى قولنا هو أن يذهب عنه الجسد العنصري: يعني تذهب عنه الكثافات الغريبة وهي الصورة الأُولى، لأنَّه إذا صيغ ثانياً لا تعود الصورة الأُولى فافهمه.

فهذا مرادي وأبرء إلى الله تعالى من غير هذا، وهذا هو مذهب أئمَّة الهدى عليهم السلام، ﴿إن افتريتُه فعليَّ إجرامي وأنا بريء ممَّا تجرمون﴾ ـ إلى أن قال أعلى الله مقامه ـ: فالجسد الأوَّل من العناصر المحسوسة ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا، لأنَّه إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة، فإذا أُعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأُولى، مثل ما مثَّلنا لك بالخاتم ومثل ما مثَّل الإمام عليه السلام باللَّبنة، وهذه الصورة الأُولى هي الجسد الأوَّل الذي لا يعود، وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهيَ الكثافة ـ وقال أيضا رحمه الله ـ: ولا نعني بالبشريَّة وبالعنصريَّة وبالكثافة وبالأعراض وغيرها إلَّا هذه الصورة العارضة له في هذا المقام، أعني دار التكليف[1]. (انتهى كلامه).

وقد ملأ كتبه ومصنَّفاته وأجوبته للمسائل من هذا النوع من البيان للجسد الأوَّل الذي لا يعود، وهل يبقى مع هذه الأكيدة والتأكيدات[2] البليغة في بيان مراده من الجسد مع[3] أنَّه هو الصورة والهيئة الدنيويَّة

(١) جوامع الكلم، ج: ٢، ص: ٢٨٠، الرسالة المعادية.
(٢) التأكيدات الأكيدة (ظ).
(٣) من (ظ).

لمسلم مؤمن يخاف الله ويراقب دار الآخرة شكٌّ وشبهة، في أنَّه القائل بأنَّ هذا الجسم المرئي المخسوس بالأبصار والمدرك بالأمساس يحشر يوم القيامة، وإنَّما سمّى الصورة جسداً كما هو أحد معانيه في اللغة على ماذكره في مجمع البحرين والقاموس الجسد هو الهيئة [١] وقوله تعالى «عجلاً جسداً [٢]» أي ذا هيئة وهو الجسم التعليمي، والجسد التعليمي المشتهر بين العلماء كاشتهار الشمس في رابعة النهار، وهو البدن النوري كما في الحديث [٣] في معنى الأشباح النُّورانيَّة.

وهل مسلم موحِّد يقول: أنَّ الصورة الدنياويَّة والهيئات المعوجة العنصريَّة تعود يوم القيامة، فيعود لقمان الحكيم عبداً أسوداً على صورة غير مستحسنة، ويعود أبوبصير ـ ليث المرادي ـ الذي هو من الأوتاد الأربعة والأركان الأربعة والسفن الجارية في البحر القمقام يوم القيامة وهو أعمى، ويعود الكفار الذين في هذه الدنيا على الصورة الحسنة والشمائل المستحسنة يوم القيامة حسن الصورة جميل الشكل، وفي هذا القول تكذيب للشريعة وتكذيب لله سبحانه وتعالى على الحقيقة، ومخالفة لعامَّة المسلمين والله سبحانه يقول: ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ أَعْمىٰ قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَني أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ**

---

(١) مجمع البحرين ص ١٩١، س: ١٠ القاموس المحيط ج: ١ ص: ٢٩٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٣) كما في البدن (ظ).

﴿كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَى﴾[١]، فكيف يحشرهم الله أعمى وقد كانوا على غير تلك الصورة في الدنيا.

ولست أدري أي صورة دنياويَّة يوم القيامة تحشر؟! صباه أو صورته في حال بلوغه أو صورة شبابه، أو صورة شيخوخيَّته أو صورة هرمه، أو صورة صحَّته أو صورة مرضه، في أي صورة تفرض تبقى صور دنياويَّة لم تحشر. فثبت إنَّ تلك الصورة لم تعد، وإن كانت هي الصورة التي يموت عليها فيلزم أن تحشر الخلائق يوم القيامة مرضى على ضعف شديد لا يقدرون النهوض، خصوصاً إذا كان المرض دماغيّاً أو من جهة الإسهال، فمن المثاب والمعاقب؟! والضرورة قاضية ببطلان هذا الكلام السخيف، فإن كان هذه الصور لا تعود فقد أقررت بأنَّ من الصور الدنيويَّة لا تعود.

والحاصل: هؤلاء المعترضون قد أغمضوا أعينهم وأرادوا أمراً يأبى الله ذلك، وإلَّا فليس في الكلام غبار، فإن استشكلوا في قوله ـ أعلى الله مقامه ـ إنَّ الجسد العنصريَّة لا تعود فتلحق النار بمركزها والهواء والماء والتراب كذلك، فمراده ـ حشرني الله معه ـ هي الصورة والكيفيَّات العارضة، المسمَّاة في عرف الأطبَّاء بالحرارة الغريبة والرطوبة الغريبة، وعنده ـ أعلى الله مقامه ـ جميع الكيفيَّات تنقسم إلى: غريبة وغريزيَّة، فبالغريزيَّة: يقوم الشيء والبدن، وبالغريبة: يفيد وعرض فيأتي الطبيب

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.

فيسكن تلك الكيفيَّة الزائدة من الحرارة والرطوبة وغيرهما، فتلحق بأصلها فتعدل البنية، فكما أنَّ تلك الكيفيَّات في الدنيا تأتي عند المرض وتذهب عند الصحَّة، ولمَّا كان دار الآخرة لهي الحيوان ليس فيها مرض ولا موت، تذهب تلك الكيفيَّات الغريبيَّة عند الموت فلا تعود يوم القيامة، كما لا تعود في الدنيا فيمن لم يتمرَّض.

فمن قال بهذه المقالة أيُّ محذور يخافه؟! وأيُّ كفر يخشاه؟! ولكنَّ الأمر كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصار وَلٰكِنْ تَعْمى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصدُورِ﴾[1]، وأين هذا من عبائر القوم مثل الملَّا محسن والملاَّ صدرا فيما أورد عليهم من الاعتراض، وأين لهم البيان الموضح لمرامهم والقرينة الصارفة المنبِّئة لمرادهم، فإن كان ذلك فاذكرها كما ذكرتُ لكم ﴿هاتُوا بُرْهانَكُم اِنْ كُنْتُم صادِقِينَ﴾[2]، قد كتبت في هذه المسألة رسالة مستقلَّة ودفعت عنه ـ أعلى الله مقامه ـ أوهام الناقصين وشبه السوفسطائيِّين، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها ليعرف إنَّ ما ذكره ﷺ في المعاد هو ما اتفق المسلمون عليه، والرَّاد عليه رادٌّ على النص المبين وتابع غير سبيل المؤمنين ﴿وَمَنْ يَتَّبِع غَيْرَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

[الأئمة هم العلة الفاعلية]

وفي مسألة العلل الأربعة: ذكر أنَّ الأئمَّة عليهم السلام هم العلل الأربعة في العالم، ثمَّ فصَّل وقال: إنَّها فاعليَّة كما في قوله عليه السلام: «نحن صنائع ربِّنا والخلق بعد صنائعنا ـ أو ـ صنائع لنا»[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فيها فَتَكُون طَيْراً بِإِذْنِى﴾[٢]، وكما قال تعالى للعقل الكلِّي الذي هو عقلهم: أدبر فأدبر، ثمَّ قال له: أقبل فأقبل[٣]. انتهى.

وهذا وإن كان ليس فيه صراحة ولا ظهور في مخالفة ما عليه الأُمَّة، شرح ذلك وبيَّن وأوضح ذلك وأعلن في شرح الجامعة[٤] عند قوله عليه السلام: «وَآثاركم في الآثار» على أنّ المراد من الفاعل والخالق والعلَّة ـ وأشباهها من العبارات ـ ليس ما تتوهَّمه عامَّة الناس من الفاعليَّة الحقيقيَّة، وإنَّما هي مجازيَّة كما قال ما لفظه الشريف: «وأوصيك وصيَّة ناصح ألَّا تستغرب هذه الأشياء أو تنكرها، فإنَّا لا نريد بذلك إنَّهم عليهم السلام فاعلون أو خالقون أو

---

(١) ورد عن الإمام الحجة (عج) بلفظ (بعد صنائعنا) أورده الشيخ الطوسي في الغيبة، ص: ١٧٣. وأيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج: ١٥، ص: ١٩٤. وكذلك في البحار، ج: ٥٣، ص: ١٧٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٣) راجع بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٢٢٤.

(٤) راجع الشرح، ج: ٤، ص: ٥٧.

رازقون، بل نقول: الله سبحانه هو الخالق والرازق وهو الفاعل لما يشاء وحده عزَّ وجلَّ، لم نجعل له شريكاً في شيء، إلَّا أنَّا نقول: إنَّه سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته لتكرُّمه وتنزُّهه عن المباشرة، وإنَّما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك، بل هو الفاعل وحده. أمَّا فعله للشيء بفعله فهو أنَّه إذا أراد شيئاً كان ما أراد كما أراد من غير حركة ولا ميل ولا انبعاث ولا تفكُّر ولا رويَّة، وليس معه شيء يفعل به ما يفعل زائد على فعله لما فعل، إذ ليس شيء غير ذاته المقدَّسة وفعله ومفعوله فلا شيء يصح عليه إطلاق الشيئيَّة إلَّا ذاته، ثمَّ فعله شيء بشيئيَّة ذاته ـ أي: إنَّ فعله إنَّما هو شيء بذاته تعالى، ومفعوله إنَّما هو شيء بفعله ـ.

وأمَّا مفعوله: فهو تعالى يفعل بما شاء من مفعولاته ما شاء من صنعه، مثلاً: إذا أراد أن ينبت الحنطة خلق لها الأرض بفعله أو شيء من مفعوله، وخلق الماء كذلك، وخلق زيداً ـ مثلاً ـ يزرعها، وخلق لزيد جميع ما يتوقَّف عليه عمله ؛ من القوى والعلوم وتسليطه على البذر والماء والأرض، فإذا ألقى البذر في الأرض وسقاه ـ كما علَّمه الله وألهمه ـ أنبت الله سبحانه بهذه الأشياء ـ التي هي مفعولاته ـ ما شاء من صنعه، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحرثُونَ ءَأَنتُم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[1]، والله سبحانه هو الزارع وحده من غير شريك مع غيره.

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.

وكذلك ما خلق في الأرحام. كما روي: أنَّه تعالى خلق ملكين خلَّاقين يقتحمان إلى البطن من فم أُمِّه، فهما يقدِّرانه كما أمرهما الله[١]، وكذلك ميكائيل جعله الله موكَّلاً بالأرزاق، وهو تعالى وحده هو ﴿**الرزَّاق ذو القوَّة المتين**﴾[٢]، وكذلك ملك الموت جعله موكَّلاً على قبض الأرواح، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوفىٰكُم مَلَكُ ٱلْمَوْت ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾[٣]، مع أنَّه تعالى قال: ﴿**ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسِ حِينَ مَوْتِهَا**﴾[٤]، وإذا قلنا هو الفاعل سبحانه: نريد أنَّه يفعل بفعله لا بذاته، لأنَّ كلَّ فاعل لا يفعل إلَّا بفعله، ومرادنا بفعله الذي يفعل به ما شاء: هو فعله أو مفعوله، فإنَّ مفعوله يفعل به كما يفعل بفعله لا فرق بينهما إلَّا بشيئين:

أحدهما: إنَّ فعله أحدثه بنفسه، ومفعوله أحدثه بفعله.

وثانيهما: إنَّ فعله يفعل به كلَّ ما سواه تعالى، فهو عام وكلِّي وغير متناهٍ في تعلُّقاته ولا أوَّل له في الإمكان، ومفعوله خاصٌّ وجزئي ومتناهٍ في تعلُّقاته بالنسبة إلى الفعل لا مطلقاً، فإنَّه ـ أيضاً ـ غير متناهٍ بالنسبة إلى نفسه وله أوَّل في الإمكان، فإنَّ أوَّله الفعل الذي به كان. وهذا المقام من غامض الأسرار وسرُّ الأقدار، فإن أتى له ذكر فيما بعد فتحت بابه الذي

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٤٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

ما فُتِحَ قبلي.

ومرادنا أنَّ هذه الأشياء من الفاعلين والمفعولات والأفعال كلُّها قائمة في وجوداتها وفي كلِّ ما يصدر عنها وتفعله بفعله تعالى قيام صدور، يعني كقيام الكلام بالنسبة إلى نفس المتكلِّم وشفتيه وأضراسه ولهاته وحلقه وحركته فيها مع قيامه بالنسبة إلى الهواء.

فلو صحَّ عنهم عليهم السلام أنَّهم قالوا: إنَّا نفعل شيئاً من ذلك. فليس فيه إشكال كما سمعت قوله تعالى في حقِّ عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾[1]، ولا يلزم منه غلوٌّ ولا جبرٍ ولا تفويض ولا شيء ينافي الحق بوجه ما، لأنَّه إذا ورد شيء من ذلك فمرادنا منه ما ذكرنا أوَّلاً وهو كمال العبوديَّة، والأدلَّة من الكتاب والسنَّة جارية على ذلك متواردة فيه، وإنَّما تتوقَّف في صحَّة ورود ذلك عنهم[2]. (انتهى كلامه، رفع الله أعلامه).

الآن: انظر أيُّها العاقل اللَّبيب المنصف في صراحة هذا الكلام وتوضيحه لمعنى أنَّهم عليهم السلام علل، فقوله: إذا أورد شيئاً من ذلك فمرادنا ما ذكرناه من كونهم أسباباً وأبواباً جعلها الله سبحانه لخلقه في إيصال الفيض إليهم، كما جعل الشمس سبباً لإضاءة الأرض، والنار سبباً لطبخ أغذيتهم، والهواء لنضج طبائعهم، والملائكة لإيصال التدابير الخاصَّة إليهم، كما

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٢) شرح الزيارة الجامعة، ج: ٤، ص: ٥٧.

روي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[١].

وهل لعاقل أن ينسب هذه الأشياء والمسبِّبات لهذه الأسباب ويعزل الله عن حكمه وسلطانه؟! سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علوّاً كبيراً، وهل لعاقل أن ينكر مدخليَّة هذه الأسباب في هذه المسبِّبات ويذهب إلى ما تقوله الأشاعرة أو مطلقاً؟! أو لعاقل أن يقول إنَّ الله تعالى يفعل بذاته وَيباشر الأشياء بنفسه؟! حتَّى المولى المجلسي ﷺ جعل الفعل بالمباشرة ممَّا يمنع على الله تعالى، وممَّا لا يقدر سبحانه عليه، أو لعاقل أن يقول إنَّ الله تعالى يفعل بغير الأسباب وهو سبحانه مسبِّب كلِّ سبب ومسبِّب الأسباب من غير سبب؟!

فلو قال قائل: بأنَّ الله سبحانه جعل محمَّداً وآل محمَّد السبب الأعظم لوجود هذا العالم، كما جعل الملائكة للتدبيرات الجزئيَّة، كعزرائيل جعله الله سبحاانه سبباً للوفاة والله سبحانه هو المتوفِّي والمميت، وجعل ميكائيل مسبباً لإرزاق العباد والله سبحانه ﴿**هو الرزَّاق ذُو القوَّةِ المتِين**﴾[٢]، وجعل الملكين الخلَّاقين في رحم المرأة سبباً لخلق الولد ونشوئه والله سبحانه هو الخالق وحده، وقد قال تعالى: ﴿**آللهُ آلَّذِي خَلَقَكم ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتكمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَن يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ**

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٧.

﴿شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]، ومع ذلك قد نسب سبحانه الفعل إلى الأسباب أيضاً مجازاً كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوفيكُم مَلَكُ ٱلْمَوت ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوفٰهُمْ ٱلْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوفٰهُمْ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسهِمْ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾[٥]، الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٦]، أي القرآن، مع أنَّه قول الله وكلامه، وأبان سبحانه عن حقيقة الأمر بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُون هَذَا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٧]، انظر إلى قوله تعالى يكتبون الكتاب بأيديهم، فنسب الفعل إليهم وجعل اليد آلة وسبباً لإظهار الكتابة، وجعل الكاتب الشخص كما هو المعلوم، ثمَّ أراد سبحانه أن يبيِّن أنَّ الفعل قد ينسب إلى السبب القريب المقارن، فقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا

(١) سورة الروم، الآية: ٣٩.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٢٧.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٠.
(٦) سورة التكوير، الآية: ١٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

﴿كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1] فنسب الكتابة إلى اليد بعدما نسبها أولاً إلى الشخص، وهي نسبة مجازيَّة لا حقيقيَّة، كما إنَّ النسبة الأُولى حقيقة لا مجازيَّة.

فلو قال قائل: إنَّ محمَّداً وآله عليهم السلام من أعظم الأسباب والشرائط لإيجاد العالم وأهله في خلقهم ورزقهم وحياتهم ومماتهم، كما إنَّ الملائكة كذلك في التدبيرات الجزئيَّات على القطع واليقين، فأي ضررٍ يخافه؟! وأيُّ محذور يخشاه؟! وأيُّ غلوٍّ وكفر يلزمه؟! وأيُّ ضرورة ينكرها؟! فإن كان ما يحصل بالملائكة تفويضاً باطلاً، فكيف يجوز على الله أن يحكم بالباطل وينسب الفعل إليهم ويجعلهم من أسباب الإيجاد والخلق والرزق، وكيف جاز هذا التفويض وصحَّ في بعض ولا يصحُّ في بعض آخر؟! إن هو إلَّا مجازفة وسفسطة، أو مكابرة معاندة، أو لقلَّة معرفة بحقِّ محمَّد وآله صلوات الله عليهم.

انظر إلى هذا التصريح الواضح والبيان اللَّائح في تفسير العلَّة الفاعليَّة بما لا ينافي مذهب الفرقة الناجية مقدار شعرة، دفعاً لما عسى أن يتوهَّم من كلامه ـ رفع الله أعلامه ـ ولعلَّ متوهِّماً يتوهَّم أنَّ هذه السببيَّة لآل محمد عليهم السلام في العالم البشري بعد تولُّدهم من آبائهم وأُمَّهاتهم الظاهريَّة، فمن توهَّم هذا التوهُّم على جهة الكليَّة فقد خَبَطَ خَبْطَ عشواء، وإنَّما هذه السببيَّة والمدخليَّة لأنوارهم وأسرارهم التي خلقها الله تعالى قبل الكون والمكان، وقبل الأكوان والأعيان، فكانوا أنواراً قبل خلق الخلق ويسبِّحونه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

ويقدِّسونه ويمجِّدونه وينزِّهونه، إلى أن خلق الله الخلق من أشعَّة أنوارهم وتلألؤ حقائقهم وأسرارهم، كما دلَّت عليه الأخبار المتواترة واتفقت عليه العقول المتكاثرة واجتمعت عليه الآراء المختلفة من العامَّة والخاصَّة وكل من أقرَّ بمحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم خير البريَّة فافهم[١].

أجمعوا على أنَّ محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم أوَّل ما خلق الله من كافَّة الموجودات قبل آدم وحوَّاء، وقبل العرش والكرسي، وقبل اللَّوح والقلم، وقبل الكان والمكان، وقد اتفقت الفرقة المحقَّة على أنَّ علياً عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[٢] وتكثَّرت الأخبار من طرق المخالفين أيضاً على ذلك، واتفق أيضاً على أنَّ الأئمَّة الأحد عشر والصدِّيقة الطاهرة عليها وعليهم السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طينة واحدة وحقيقة غير متعدِّدة، فما يجري له صلى الله عليه وآله وسلم يجري لهم عليهم السلام، وما يختصُّ به يختص بهم، إلَّا ما استثني من الخصائص لأمور خارجة عن ذاتيَّاتهم يطول بذكرها الكلام، فإذن: هؤلاء الأربعة عشر عليهم السلام قد وقع الإجماع على أنَّهم قبل الخلق[٣].

فإذن: أنوارهم خلقت قبل آبائهم وأمَّهاتهم وقبل وجود الملائكة،

---

(١) راجع بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢٢، وكذلك في ج: ١٥، ص: ٩. وكذلك في تفسير البرهان، ج: ١، ص: ٢٩٤.

(٢) كما توضِّحه آية المباهلة: سورة آل عمران، آية: ٦١.

(٣) عن علي بن الحسين عليه السلام: «إن الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من عظمته وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات» بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣٦.

وهذه السببيَّة والمدخليَّة التي عبَّرنا عنها بالعلَّة الفاعليَّة إنَّما كانت في هذا العالم لا في عالم البشري الجسمي على جهة الكليَّة على الحقيقة الأوَّليَّة، وإن كانت على حقيقة الثانويَّة في الوجودات التشريعيَّة.

وبالجملة ولقد أفردنا لهذه المسألة رسالة منفردة وذكرنا فيها ما يشفي العليل ويبرِّد الغليل لأهل القلوب القاسية، ودفعنا عن عبارات مولانا وأستادنا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ أوهامهم ونكَّسنا بقوَّة البيِّنات الواضحة والبراهين اللَّائحة راياتهم وأعلامهم، ومن أراد حق الاطلاع فليطلبها، ومرادنا في هذا المقام ذِكْرُ القرينة الواضحة والبيانات الصريحة لكلام مولانا وأستادنا من كلامه، حتَّى لا تورث الشبهة ولا تحصل الريبة.

ومع هذا كلِّه ما سكت الشيطان عنهم وتمكَّن ممَّا أراد منهم، كما أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، والأُمنية هي القراءة كما في

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢ ـ ٥٤.

قول الشاعر:

تمنَّى كتاب الله في كلِّ ليلة تمنَّى داود الزبور على الرسل

وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: وما أرسلنا من رسول ولا نبيٍّ ولا محدَّثٍ، ـ بفتح الدال ـ[١]، وقد قالوا عليهم السلام: إنَّا لا نعدُّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتَّى يكون محدّثاً، فقيل له: أيكون المؤمن محدّثاً، قال: يكون مفهّماً والمحدّث المفهّم[٢]. فبعد ملاحظة هذه الروايات ووضع كلّ شيء في موضعه يظهر لك تأويل الآية الشريفة بجميع وجوهها فتبصَّر وتدبَّر.

وأين هذه العبارات مع هذه القرائن الموضَّحة من عبائر القوم مثل الملّا محسن وأحزابه، حيث بيَّنوا كلامهم وفسَّروه وأوضحوه ولم يأتوا بشيء ينافيه ويضادُّه، وأنت قد سمعت من عبارات مولانا وأستادنا قدس سره، فإنَّه ما أتى بكلام غريب بعيد عن أفهام عامَّة الناس إلَّا وذكر له بياناً واضحاً كما ذكرنا، فإن كان لهم بياناً مثل هذا فليأتوا ﴿**قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُم صادِقِينَ**﴾[٣] إلَّا أنَّ القوم المعترضين عليه رحمه الله قد راموا أمراً فعزَّ الوصول.

[معنى العلم الحادث]

وفي مسألة العلم: لمَّا ذكر أنَّ العلم علمان: حادث وقديم، والعلم

---

(١) تفسير القمي، ص: ٤٤١. والبرهان، ج: ٣، ص: ٩٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج: ١٨، ص: ١٠٨، ح: ٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١١.

القديم: هو ذات الله سبحانه، والعلم الحادث: ألواح المخلوقات من اللوح والقلم. وغير ذلك من كلماته ـ أعلى الله مقامه ـ وهذه الكلمات وأمثالها وإن لم يكن فيها صراحة ولا ظهور بأنَّ الله سبحانه لا يعلم الأشياء قبل حدوثها، ومع هذا قد بيَّن مراده وكشف النقاب عن وجه مرامه، ليبيِّن الحقَّ ويوضِّح الصدق ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1]، وقال في أجوبة مسائل سائل[2] سأله: هل معنى العلم الحادث أنَّه تعالى يعلم الأشياء بعد وجودها، بمعنى أنَّه تعالى يوجد لنفسه علماً بها ثمَّ يوجدها؟

قال: ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ أقول: معنى العلم الحادث أنَّه يثبت عنده في ملكه ضبط الأشياء وحفظ صفاتها وحفظ مقاديرها وهيئاتها وآجالها وأرزاقها ـ وما أشبه ذلك ـ مع وجودها لا بعد وجودها، بمعنى أنَّه يوجد في ملكه العلم بها وضبط حدودها حين يوجدها، لا أنَّه يوجد لنفسه علماً بها، لأنَّه عالم بها قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، فكيف يوجد لنفسه علماً بها، وأيُّ حاجة بذلك؟! لأنَّه لم يفقد من جميع حدودها وأحوالها من ملكه شيئاً قبل أن يُوجدها وقبل أن تكون شيئاً مذكوراً.

ومثال ذلك: إنَّك يكون بينك وبين زيد حساب في بعض المعاملة

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٢) جوامع الكلم، ج: ١، ص: ٢٢٧.

فتكتبه في الدفتر، وإن كنت أنت غير ناس للحساب، ولكن لاحتمال أن ينسى زيد أو يتناسى، توصُّلاً إلى إنكارك أو ليهتمَّ بالوفاء إذا علم أنَّك ضابطه عليه، بحيث لو صدر منه ما يوهم الإنكار أو الاستفهام قلت له: أنا عندي علم الحساب الذي بيننا في الدفتر. فيكون أردع عن الإنكار من قولك: أنا أعلم بالحساب، فإنَّه يشك في الكلام الثاني دون الكلام الأوَّل. ولهذا لمَّا قال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ﴾ قال له موسى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾[1] وهذا هو السرُّ والنكتة في التقييد بقوله في كتاب فافهم.

ومعنى قولنا: إنَّ لله علماً حادثاً. أنَّه حين خلقها خلق لوازمها وملزوماتها وكلُّما يترتَّب على حدوثها، فما كان منها شرطاً خلقه تعالى مع خلقه لها، لأنَّ الشَّرط من لوازم المشروط، ولا يكون اللَّازم قبل الملزوم لأنه في الحقيقة صفة الملزوم، ولا تكون الصفة قبل الملزوم ولا بعده، لأنَّها شرط والملزوم متوقِّف على شرطه فلابدَّ أن يكون معه، كالكسر والإنكسار. وهو سبحانه عالم بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها، فلا يكون في علمه بها محتاجاً إلى أن يخلق له علماً بها، وإلَّا لكان قبل أن يخلق ذلك العلم جاهلاً بها، وهذا اعتقاد الجاهل به تعالى. لأنَّه لم يفقد شيئاً منها في ملكه، فعلمه في الأزل بحيث لا يحتمل الزيادة والنقصان بها في الإمكان، ولأنَّه لا يستقبل ولا ينتظر، لأنَّ المستقبل والمنتظر فاقد في الماضي

---

(١) سورة طه، الآية: ٥١.

والحال، وتعالى العظيم المتعال عن تغيير الأحوال. فعلمه بكلِّ شيء من خلقه هو ذاته البسيطة المجرَّدة، فلو فقد من علمه ذرَّة نقصت ذاته تعالى، لكنَّ المعلومات ليست في الأزل، لأنَّ الأزل هو الله سبحانه ولا يكون في ذاته شيء، وإنَّما المعلومات في أماكن حدودها من الحدوث وأوقات وجودها من الإمكان، وهو بكلِّ شيء محيط.

فيا أيُّها المسلم صحِّح إسلامك باتباعي، وإيَّاك وأن تحترق بنار الكفر من مخالفتي، فإنِّي لم أنطق بهوى نفسي وإنَّما أنطق بهدىً من الله باتباعي لأئمَّة الهدى سلام الله عليهم.

فَمَن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا
وإن لم يكن فهم فيأخذه عنَّا
فما ثمَّ إلَّا ما ذكرناه فاعتمد عليه
وكن في الحال فيه كما كنَّا
فمنه إلينا ما تلونا عليكم
ومنَّا عليكم ما وهبناكم عنَّا

وساق الكلام إلى أن قال ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه ـ:

والحاصل: علم الأزلي سبق كلَّ شيء وأحاط بكلِّ شيء منها، في رتبة كونه حين كونه ومع كونه وبعد كونه قبل كلِّ شيء، أي: في أزل الآزال من غير انتقال ولا زوال ولا تحوُّل حال، وهو تعالى كما هو والأشياء كما هي، أي: كلُّ شيء منها في رتبة تحقُّقه من الإمكان كما قال ﷺ في خطبته يوم الغدير، قال ﷺ: «وأحاط بكلِّ شيء علماً وهو في

مكانه»[١]. ـ إلى أن قال، أعلى الله مقامه ـ: ومن قال إنَّ علمه لم يكن سابقاً بها قبل كونها فهو كافر، بل علمه بها قبل إيجادها ووجودها كعلمه بها بعد إيجادها ووجودها ـ إلى أن قال ـ: وأمَّا إذا أردت بالعلم الحادث فالمراد منه كما ذكرنا سابقاً إنَّه حدود خلقه، فإنَّه إذا خلق زيداً ـ مثلاً ـ خلق رزقه ومدَّة عمره وفنائه وبقائه، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وأنفس الملائكة، وسمَّى هذه الكتابة علماً، فإذا سمعت من يقول: علم الله الحادث. فالمراد منه القلم واللوح المحفوظ ونفوس الملائكة الموكَّلين بالخلق في مراتب الوجود الأربع: الخلق والرزق والحياة والموت.

وإذا سمعت منَّا نقول إنَّه العلم الإشراقي، نريد أنَّه صادر عن فعل الله ومشيئته قائم بفعل الله قيام صدور، لأنَّه أثره. وقائم بشعاع المفعول الأوَّل قيام تحقُّق. فهذا الفعل هو المشيئة، وهذا المفعول الأوَّل هو نور محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، والفعل والمفعول الأوَّل يطلق عليهما أمر الله ـ إلى أن قال رحمه الله ـ: فالفعل من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعلى العلوم الحادثة، خلقهما الله فسمَّاهُمَا علماً باعتبار ومعلوماً باعتبار. فمعنى العلم الإشراقي باعتبار تقوم المعلومات بأمره ـ كما قلنا ـ فافهم وتدبَّر ولا تشتبه عليك العبارات فإنَّ مرادنا في هذه كما سمعت[٢]. (انتهى كلامه. أعلى الله في الخلد مقامه، ورفع الله في الدارين أعلامه).

---

(١) الإحتجاج، ج: ١، ص: ٥٨.

(٢) جوامع الكلم، ج: ١، ص: ٢٢٧.

انظر الآن أيُّها العاقل المنصف المتديِّن، هل بقي لأحد مع هذا الكلام التام الواضح الدلالة مجال القول بأنَّه ـ أعلى الله مقامه ـ ينكر علم الله بالأشياء قبل وجودها؟! أو أن يكون له تعالى حالتان أو صدر المخلوقات عنه تعالى بالجهل؟! تعالى ربِّي وتقدَّس عن كلِّ ما يقولون علوّاً كبيراً.

فإذا قال القائل: مرادي من هذا القول هذا المعنى. واللفظ يحتمل ذلك المعنى ـ ولو بعيداً ـ يجوز في المذهب والشريعة أن يُكذَّب ويقال له: هذا ليس مرادك لأنَّ كلامك يحتمل غير هذا؟! مع أنَّ ما نقله المعترض من كلامه ـ أعلى الله مقامه ـ صريح فيما ذكرنا ونقلنا عنه، وأنَّه قال هناك: والعلم الحادث فعله ومن جملة مخلوقاته، وسمَّيناه علماً لله تعالى تبعاً لأئمَّتنا عليهم السلام، واقتداء بكتاب الله حيث قال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى﴾[1][2]، فهل بهذا الكلام يُكَفَّر قائله ويقال إنَّه يثبت الجهل لله، مع هذه التصريحات الأكيدة والتأكيدات البليغة على أنَّ علمه تعالى بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، مع البيان الواضح الذي نقلناه عنه ـ أعلى الله مقامه ـ.

ولو فتح هذا الباب بالمصير إلى الاحتمالات البعيدة وصرف الكلام إلى الخيالات الفاسدة والأوهام الكاسدة، مع تصريح المتكلِّم بخلافها

---

(١) سورة طه، الآية: ٥١.

(٢) راجع رسالة: «حياة النفس في حضرة القدس» للشيخ الأوحد ـ أعلى الله مقامه ـ فصل العلم.

وتوضيحه المراد منها فلا يبقى حينئذٍ لعالم كلام، ويجب تكفير جميع علماء الإسلام.

(يا ناعي الإسلام قم فانعه)

نعوذ بالله عن زلل الأقدام وزيغ الأفهام واضطراب الأوهام، ونسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

[المعراج الجسماني]

وكذلك القول في المعراج: وما ذكر مولانا فيه من الكلام الواضح الحق الصريح الذي لا مرية فيه ولا شكَّ يعتريه، ونقلناه عنه في أوَّل هذه الرسالة، ما هو صريح في أنَّه ﷺ عرج بجسده بالكثافة البشريَّة وبثيابه التي هي أكثف من جسده، صعد إلى العرش وإلى مقام قاب قوسين أو أدنى، كما فصَّلناه وبيَّنا وشرحنا وأوضحنا سابقاً، فليرجع إليه من أراد الاطلاع على حقيقة الأمر.

فإذا كان كذلك وهذا دأبه وديدنه ـ أعلى الله مقامه، ورفع أعلامه ـ في ذكر المطالب وتبيينها وتنقيحها، وذكر القرائن المبيِّنة والموضَّحة لمعانيها والكاشفة عن حقائقها ومبانيها، وما عسى أن يتوهَّم المتوهِّم لأجل معضلات أسرارها، فكيف يقاس عباراته وإشاراته لعبارات أُلئك الأشخاص الذين ليس في كلامهم ـ الدال على مخالفة ظاهر ما عليه الفرقة المحقَّة (المحقِّقة) ـ قرينة موضحة وبيان مثبت لمرادهم، إلَّا ما أرادوا من

ظاهر كلامهم.

وحينئذٍ: فالظاهر يكون بحكم النص ويجب العمل عليه، ولكن من جهة ما تقدَّم واحتمالُ أنَّهم ربما أرادوا غير هذا المعنى المعروف عندهم والمتكرِّر على ألسنتهم وكتبهم، سكت عنهم واستغفر لهم كما في شرحه ـ أعلى الله مقامه ـ لرسالة العلم للملَّا محسن[1] وإنَّما يقول: (قال عفى الله عنه) (وقال العالم المتقن الملَّا محسن) وأمثال هذه من العبارات. وذلك كلُّه لورعه وتقواه وعدم جرأته في تكفير مسلم انعقدت نطفته في الإسلام، وربى ونشأ في الإسلام، واعتقد معتقد أهل الإسلام، ولمَّا كانت كلماته ظاهرة فيه جاهر بالتخطئة. فلو أتى من بين كلامه على نحو معتقد أهل البيت عليهم السلام ـ ممَّا هو المعروف في مذهبهم من كلماته وبياناته وتصريحاته ـ لكان يقبل ذلك منه، إذ لم يكن الاعتراض لأجل المعاداة ـ والعياذ بالله ـ إلَّا أنَّه ـ أعلى الله مقامه ـ لم يجد من بين كلامه وكلام أضرابه من كلامهم وبيانهم، وإنَّما يؤوِّلون بعض التأويلات الباردة والتوجيهات الكاسدة، عن التوجيه الذي لا يرضى به صاحبه، ولو أردنا ذكر هذه الوجوه والتأويلات والتعليلات لطال بنا الكلام، ولأخرجنا عمَّا نحن في المقام، ولسنا أيضا بصدد الخلاف والنزاع مع الناس، ونحن ـ ولعمري ـ في شغل من ذلك.

---

(١) جوامع الكلم، ج: ١، ص: ١٦٦، س: ١٤.

[النهج الصَّحيح عند العلماء الأعلام]

بل نقول: إنَّ القائل إذا قال قولاً وسكت عنه، ومضى على منواله، ولم يأت بشيء ينفيه، ويُبيِّن مراده عنه غير ما يعرفه الناس من ذلك الكلام، فذلك القول والكلام هو الذي يجب أن تُبنى عليه الأحكام، من النفي والإثبات، إن لم تكن قرينة بخلافه من الحاليَّة أو المقاليَّة أو غيرهما من أنحاء القرائن. وأمَّا إذا لم يكن كذلك، لا يذكر كلاماً ويبيِّن مراده بقرينة صحيحة وبيان واضح، ولا يلزم أن يكون تلك القرينة في ذلك الموضع، بل يكفيه إثباتها وبيانها بحيث يُعرف ذلك منه، إمَّا بتنصيص مقالي أو بيان لساني، أو بإخبار المجازين الآخذين عنه، أو بالكتابة والإتيان بصريح العبارة، أو بغير ذلك كما فعله مولانا الأستاذ ـ أعلى الله مقامه ـ.

فحينئذ: فهو الحكم الذي يجب الحكم على ما يقتضيه كلامه ويؤدِّيه بيانه، وإن أتى بشيئين مختلفين ولم يمكن الجمع بينهما بما يُعلم منه، ولم يظهر مذهبه في الخارج، فيجب التوقُّف والسكوت عنه. لأنَّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات. وإن اختلفت كلماته إلَّا أنَّه المعروف بالانتساب إلى مذهب ودين، فيجب الحكم به على ما هو المعروف من مذهبه والمعلوم من دينه وملَّته، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً**﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

وعلى ما ذكرنا من هذا التفصيل استقرَّ مذهب علماء الإسلام، وعلى ذلك جرت طريقتهم وآدابهم، فلا يحكمون على أحد بالكفر إلَّا إذا تطابقت أحواله وكلماته وعباراته فيما تظهر للناس، وتجري على وتيرة واحدة، وإذا اختلفت فيطلبون المرجِّحات، ولذا يختلفون في شخص واحد بالجرح والتعديل والإسلام والكفر، ولذا ترى إنَّ عبدالحميد بن أبي الحديد لمَّا ظهر منه بعض الكلمات في بعض قصائده ورسائله حكم عليه جماعة بالتشيُّع، حتَّى إنَّ من علمائنا من يقول: (حشرني الله معه)، مع كونه معروفاً بالانتساب إلى مذهب التسنُّن، وتقويته لمذهبه ودفع الاعتراضات الواردة عليه ممّا لا ينكر بتتبُّع شرحه على نهج البلاغة، وأمَّا ما ذكر في مدح أمير المؤمنين عليه السلام فقد بان عذره من مذهبه لأنَّه معتزليٌّ، يُجَوِّز تقديم المفضول على الفاضل[1]، ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام عنده أفضل الصحابة، ولكنَّ الحكمة اقتضت تقديم فلان وفلان عليه، وإن كانوا مرجوحين، ويشهد لما ذكرنا قوله في القصيدة العينيَّة[2]:

ورأيت ديـــن الإعـــتزال وإنَّـــني أهـوى لأجـلك كـلَّ مـن يـتشيَّع

والحاصل: إنَّ العلماء إذا رأوا كلاماً حقّاً من متكلِّم يجعلونه أصلاً، ويحملون غيره عليه، حتَّى أجروا في ابن أبي الحديد وأشباهه. فما ظنُّك بأكابر الشيعة وأساطين الشريعة، وهكذا دأب علماء الرجال، وكذا

---

(١) راجع شرحه على نهج البلاغة، ص: ٤.

(٢) العلويَّات السبع، منشورات الرَّضي.

الاختلاف في أحوال محمَّد بن سنان وكلماته وأطواره، واختلاف النقل عنه والروايات فيه. اختلفت كلمات علماء الرجال فيه، حتَّى إنَّك ربما تجد عالماً واحداً يناقض نفسه فيه في كتاب واحد، فضلاً عن كتابين فضلاً عن العلماء، هذا المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ في الإختصاص على ما نقل عنه في العوالم عدَّ من خواصِّ مولانا الرضا عليه السلام محمَّد بن سنان[١]، ومع ذلك قد طعن فيه ورماه بالضعف[٢] وهكذا، وقد فصَّل القول فيه سيِّدنا السند محمَّد مهدي الطباطبائي ـ أعلى الله مقامه ـ[٣].

وربما يكون رجل واحد قد ضعَّفه المشهور، ويتبيَّن لبعضهم من كلامه وآدابه وأحواله ما يدلُّ على حسن حاله فيوثِّقه، كما في عثمان بن عيسى الرواسي، فإنَّ المشهور الصحيح أنَّه ضعيف واقفي، ولكن مولانا الآقا محمَّد باقر البهبهاني في تعليقته قد وثَّقه[٤]، وبعضهم جعلوه ممَّن اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصحُّ عنه[٥]، وربما تختلف أحواله بحيث يتوقَّف فيه العلماء، ويسكتون عنه، ولم يتعرَّضوا له بجرح وتعديل، كما يظهر لمن تتبَّع كتب الرجال.

---

(١) قال في الإرشاد، ص: ٣٠٤. «ومن شيعته محمَّد بن سنان».

(٢) الرسالة العدديَّة.

(٣) رجال السيِّد بحر العلوم، ج: ٣، ص: ٢٧٨.

(٤) تعليقة الوحيد البهباني على نهج المقال، ص: ٢١٨.

(٥) الفوائد الحائريَّة، ص: ٢٣٢.

فظهر لك أنَّ العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ لا يكتفون بمجرَّد العبارة كيفما كانت، بل ينظرون إلى القرائن والمرجِّحات والأحوال والأطوار، ثمَّ يحكمون على مقتضى ما يظهر لهم بعد التتبع التامِّ والفحص البالغ العام، لا أنَّهم إذا رأوا عبارة ـ فرضناها ـ ظاهراً في الكفر أو صريحة، ثمَّ يرون بعد ذلك عبارة ثانية موضِّحة ومبيِّنة لمراده، من العبارة الأُلى صريحة في التوحيد والإسلام، بأنَّه ما أراد منها إلَّا هذه المدلول من هذه العبارة الثانية، إلَّا أنَّه أراد من الأُولى معناها، ثمَّ عدل عنها في الثانية، فإنَّه عدول عن الارتداد وينبأ عن الخلاف في المسألة، وأمَّا في الصورة الأُولى فلا شكَّ أنَّه لا يعرضون عن الثانية، ويحكمون على مقتضى العبارة الأُولى ـ لا والله ـ ما صنع ذلك إلى الآن عالم من العلماء، من جميع الملل فضلاً عن المسلمين، فضلاً عن الفئة الناجية والفرقة المحقَّة ـ رضوان الله عليهم ـ إلَّا من أبدع في الدين ولم يعرف طريقة الفقهاء والمجتهدين، ولا ما هو المعروف عند عامَّة المسلمين.

وأنا قد تلوت عليك من كلمات مولانا وعباراته ممَّا يوهم المخالفة، وما يكشف عنها بصريح الكشف والبيان، وحينئذ فالاعتراض عليه من جهة تلك العبارات بعد البيان والتوضيح خروج عن جادَّة أهل الإسلام، وعن طريقة المسلمين، واتباع لغير سبيل المؤمنين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيراً﴾[١].

ومولانا ـ أعلى الله مقامه، ورفع في الدارين أعلامه ـ لم يزل على منهاج بصيرة في الدين والتقوى، وجار على ما جرت عليه العلماء، وسالك سبيل أصحاب العصمة أئمَّة الهدى عليهم السلام، ما دامت الأرض والسماء، ولكنَّ القوم كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[٢]، و﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[٣]، لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصِنَاتِ

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٦) سورة النساء، الآية: ٩٤.
(٧) سورة النور، الآية: ١٩.

الغافلاتِ المؤمناتِ لُـعِنُوا فِـي آلدُّنـيا والآخِـرَةِ﴾[١]، وأمـثالها، بـل لقـد سمعوها ووعوها، ولكنَّ الدنيا قد احولَّت [٢] في أعينهم، وراقهم زبرجها.

آهٍ آه فوالله قال أمير المـؤمنين عليه السلام: «**لولا حـضور الحـاضر، وقـيام الحجَّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارُّوا على كظَّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوَّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز**»[٣].

وإنِّي كتبت هذه الكلمات تنبيهاً لمن يتنبَّه، وتبصرة لمـن يـتبصَّر، وتذكرة لمن يتذكر وإتماماً للحجَّة على المكابر.

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٢) «حليت (ظ)»

(٣) نهج البلاغة، الخطبة المعروفة بالشقشقية، راجع شرحه (لابن أبي الحـديد) ج: ١، باب: ٣، رواية: ٢٠٢ وقد أورد المصنف هذه الخـطبة بكـاملها فـي مـجموعة الرسائل ج:١ ص: ٧٤ مع شرح لبعض مفرداتها فراجع.

[معتقدات المدرسة]

ثم إنِّي أُجمل القول فيما هو معتقدي من هذه المسائل المأخوذة من شيخي وأُستادي، وأدين الله بهذا الاعتقاد، وأُشهد الله أنه اعتقاد مولانا وشيخنا إن افترتيه فعليَّ إجرامي وأنا بريء ممَّا تجرمون)

فأقول: إنَّ الذي يجب اعتقاده على المسلمين، في معرفة أُصول الدين هو: أنَّ الله سبحانه هو الواحد المتوحِّد الفرد المتفرِّد بقيوميَّته وإيجاده وخلقه، ليس له شريك ولا وزير، ولا هو ـ سبحانه ـ بأحد يستشير، ولا يعينه أحد ولا يوزاره عدد، فهو المستقل المتفرِّد بالخالقيَّة والفاعليَّة والرازقيَّة، خلق السماوات بلا عمد، وسطح الأرضين على وجه ما جمد، وتدل على ذلك ضرورة أهل الإسلام والآيات المحكمة كقوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾[2]، وأمثالها من الآيات الكثيرة والأخبار المتواترة المستفيضة عن البيان.

فمن اعتقد بخلاف ذلك فهو خارج عن دين الإسلام، ومكذِّب لما جاء به سيِّد المرسلين ﷺ، ومن قال أنَّ عليّاً أو أحد الأئمَّة خالقوا

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٠.

السماوات والأرضين فلا حظَّ له في الإسلام، ولا هو في عداد المسلمين. ومن قال إنَّهم خالقون بإذن الله وأمره كالشريك المتصرِّف في الملك بإذن الشريك الآخر، أو كالوكيل الفاعل بإذن الموكِّل وأمره، أو كالعبد الفاعل بإذن المولى والسيِّد، فمن قال بهذه المقالة ودان بهذا الاعتقاد فهو كافر باليقين، وخارج عن مذهب المسلمين، وإنِّي أبرأ إلى الله تعالى منه وممَّن يقول بقوله، فلا أشكُّ في كفرهم، فإنَّهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم، وهو قول الصادق عليه السلام: «**من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر**».

لأنَّ الإذن والأمر على الأوَّل: ينافيي توحيد الله، ويثبت الشريك له تعالى. وعلى الثاني والثالث: يستلزم اعتزالاً للحق عن الخلق، ويستلزم التعطيل، وضرورة الدين قضت على فساد كلِّ ذلك على اليقين. والأدلَّة العقليَّة والنقليَّة القطعيَّة دالَّة على بطلانه وكفر القائل به، وأنَّه شرٌّ اليهود والنصارى، لأنَّ الغلاة صغَّروا عظمة الله.

وكلُّ من يدَّعي أنَّ لأحد استقلالاً وتذوَّتاً بدون الله فهو كافر أيضاً، فمن جعلهم عليهم السلام العلَّة الفاعليَّة بالمعاني التي ذكرت لك ـ كما هي الظاهرة المعروفة بين الخلق ـ فإنِّي أبرأ إلى الله تعالى منه، وأدين بكفره.

وأمَّا إطلاق هذه الأمثال، وإرادة أنحاء التجوُّزات ووضع الاصطلاحات، وقصد معنى صحيح يطابق ظاهر الشرع الأنور، المعروف بين هذه الفرقة الناجية كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ**﴾ الآية[1]،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

وقال عزَّ وجلّ: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١]، وقد قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾[٢]، وكذلك ما في الروايات ـ كما تلونا عليك سابقاً ـ فقد وقع، فلابدَّ أن تحمل أمثال هذه الاطلاقات على المعنى الصحيح الذي يطابق ظاهر الشرع، لأنَّ صدور هذه العبارات من الشارع قطعي ـ كما سمعت من القرآن ـ وعدم إرادته ما هو المعروف المتبادر من المعاني التي ذكرت قطعيّ أيضاً، فوجب الحمل على التجوُّز، وأنحاء الوجوه والاعتبارات.

وكذلك يجب على المسلمين اعتقاد أنَّ الله سبحانه عالم بذاته، والعلم عين ذاته، وأنَّه تعالى يعلم الأشياء كلِّيها وجزئيها، وعلويها وسفليها، وجميع ذرَّات الكائنات بكمال التفصُّل، قبل وجودها وبعد وجودها ومع وجودها بلا تغيُّر، ومن أنكر ذلك فهو كافر ونبرأ إلى الله تعالى منه، براءة الله ورسوله والأئمَّة الطاهرين.

وكذلك يجب عليهم الاعتقاد بأنَّ رسول الله ﷺ عرج بجسمه، بل بجسده، بل بكثافة بشريَّته المؤلَّفة من العناصر الأربعة، ومعه ﷺ ثيابه، وصعد بما ذكر السماوات حتَّى وصل إلى العرش، وبلغ إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، ومن لم يعتقد ذلك نبرأ إلى الله تعالى منه.

وكذا يجب عليهم الاعتقاد بأنَّ الخلق بعد الموت يعادون بأبدانهم

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٦

وأجسادهم الدنياويَّة العنصريّة، بحيث لو وزنتها في الدنيا والآخرة لم يتفاوت قدر حبَّة خردل، ونبرأ إلى الله تعالى ممَّن قال بغير هذا، فكلُّ من أنكر المعاد الجسمانيّ فهو كافر ملعون، لعن الله قائله وعذَّبه بأنواع العذاب.

ثمَّ إنِّي أعتقد وأجزم وأقول بلسان حالي ومقالي، وجناني وأركاني، وسرِّي وعلانيَّتي، إنَّ ظاهر ما عليه الفرقة المحقَّة هو الحقُّ الذي لا شكَّ فيه، ولا ريب يعتريه، وكل مذهب أو اعتقاد أو قول أو فعل يخالف ما عليه الفرقة المحقَّة فذلك باطل عاطل فاسد كاسد، أبرأ إلى الله ورسوله وإلى الأئمَّة الطاهرين من ذلك القول.

وجميع كلماتنا وأقوالنا في جميع مصنَّفاتنا ومباحثاتنا وأوجوبتنا للمسائل لا يخرج عمَّا عليه الفرقة المحقَّة، فإذا وجدتم كلاماً متشابهاً أو ما في ظاهره المنافاة فردُّوه إلى المحكمات، وادرأوا الحدود بالشبهات ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[1]، ولا تكونوا كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[2]، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العظيم ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾[3]، وخشى عواقب الرَّدى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٧.

[وفي الختام]

واعلم: إنِّي قد أعذرت وأنذرت، وبيَّنت وفصَّلت، وأوضحت ولم أترك لذي مقال مقالاً، ولا لذي حجَّة خصاماً وجدالاً، وبيَّنت أنَّ مولانا وأستادنا ما خالف المعروف بين الفرقة المحقَّة، فضلاً عن المعروف بين المسلمين قدر شعرة وذرَّة ﴿فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، والمرجع إلى الله، والملتقى عند الحساب، والحكم لله ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

قد فرغ من نسخها منشيها عصر يوم الخميس الحادي عشر من شهر ذي قعدة في سنة المائتين واثنين وأربعين بعد الألف من الهجرة النبويَّة، على مهاجرها آلاف التحيَّة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

مصادر التحقيق

تنبيه : أشرنا سابقاً إلى أن هذه الرسالة طُبِعَت محققة بيد الحاج الوجيه أمير عسكري، وللأسف الشديد أن تلك النسخة لم تُذكر فيها المصادر: ولكننا هنا جمعنا المصادر الموجودة في هوامشها، وأدرجناها بِعِلاَّتِهَا تعميماً للفائدة.

(١) الإحتجاج ـ الناشر السيد موسوي الخراساني.

(٢) الإختصاص.

(٣) البحار.

(٤) بصائر الدرجارت.

(٥) تعليقة الوحيد البهبهاني على نهج المقال.

(٦) تفسير البرهان.

(٧) تفسير القمّي.

(٨) التوحيد للصدوق.

(٩) جوامع الكلم ـ مخطوط.

(١٠) حديقة الشيعة.

(١١) حق اليقين.

(١٢) الذكرى.

(١٣) رجال السيد بحر العلوم ـ طبع النجف الأشرف.

(١٤) الرسالة العددية.

(١٥) روضات الجنات.

(١٦) روضة الكافي.

(١٧) شرح الزيارة الجامعة ـ مطبعة السعادة ـ كرمان.

(١٨) شرح العرشية ـ طبع كرمان.

(١٩) شرح نهج البلاغة.

(٢٠) الصحاح، طبع مصر.

(٢١) صحيفة الأبرار.

(٢٢) صراط النجاة.

(٢٣) العلويات السبع، منشورات الرضي، قم.

(٢٤) عوالي اللئالي.

(٢٥) عين اليقين.

(٢٦) الغدير ـ طبع بيروت.

(٢٧) الغيبة للشيخ الطوسي.

(٢٨) فصل الخطاب (الصغير).

(٢٩) الفوائد الحائرية.

(٣٠) القاموس المحيط، طبع بيروت.

(٣١) الكافي.

(٣٢) الكتاب المبين.

(٣٣) الكلمات المكنونة.

(٣٤) مجمع البحرين.

(٣٥) مشكلات العلوم.

(٣٦) مصباح الشريعة.

(٣٧) مفاتيح الأصول.

(٣٨) من لايحضره الفقيه.

(٣٩) نعيم الأبرار وجحيم الفجار.

(٤٠) نهج البلاغة.

(٤١) نهج البلاغة الثاني. للمحقق البارع جعفر الحائري، الناشر، الهجرة.

(٤٢) الوافي.

(٤٣) وسائل الشيعة، طبع طهران.

❋❋❋

الفهرست

كلمة الناشر ٥

مقدمة الإعداد ٧

التعريف بالمؤلف ٢١

[مقدمة المصنف] ٢٧

[تصريحات الشيخ الأوحد ﷺ بالعروج الجسماني] ٢٩

[تساؤلات حول العروج الجسماني...؟!] ٣١

[ملجأ السائلين] ٣٤

[المصطلحات العلمائية] ٣٤

[لكل مقام مقال] ٣٦

[ميزان أقوال الشيخ الأوحد ﷺ] ٣٨

[كشف السرّ الخفي في المعراج] ٤١

[معرفة جسد النبي ﷺ] ٤٢

[معرفة الأفاعيل الإلهية] ٤٣

[معنى صلاة الظهر] ٤٥

[تعقيب وإيضاح] ٤٧
[العلوم اللّازمة للإحاطة بعبارات الشيخ ﷺ] ٤٩
[الأوّل] منها : علم الصناعة ٤٩
[الثاني] منها : علم الهندسة ٥٠
[الثالث] منها : علم الهيئة للأفلاك ٥١
و [الرابع] منها : معرفة علم النجوم ٥٢
و [الخامس] منها : علم الطبيعي ٥٤
و [السادس] منها :العلم الإلهي بالمعنى الأعم ٥٤
[السابع] منها : علم الإلهي ، بالمعنى الأخصّ ٥٦
و [الثامن] منها : علم التوليد والضمِّ والإستنساج والتفريق
والانفصال ٦٠
و [التاسع] منها : علم الأحكام النفس الأمريَّة ٦١
و [العاشر] منها : علم التطبيق والتوفيق ٦٣
و [الحادي عشر] منها : علم الموازين ٦٥
و [الثاني عشر] منها : علم الكتاب التكويني ٧٤
و [الثالث عشر] منها : علم الكون الشرعي ٧٦
والشرع الوجودي ٧٦
و [الرابع عشر] منها : علم المناظر والمرايا ٧٧
و [الخامس عشر] منها : علم التأويل والباطن ، وتأويل التأويل ،

وباطن الباطن ، وتأويل الباطن ، وباطن التأويل ، وظاهر الظاهر ،
حتّى ترتقي المراتب إلى السبعة أو السبعين ٨١
[السادس عشر] منها : علم الأُصول ٨٤
[الاحاطة بالكل تكشف عن البعض] ٨٩
[شرح الشرح للزّيارة الجامعة] ٩٠
[الاختلافات الاصطلاحية عند العلماء] ٩٤
[لماذا اختار الشيخ هذه الاصطلاحات ... ؟] ٩٦
والجواب عن ذلك من وجوه : ٩٦
[الوجه] الأوَّل : [وجوب ردّ المتشابه إلى الأُصول المحكمة] ٩٦
و [الوجه] الثاني : [سيراً على نهج أهل العصمة عليهم السلام] ١٠٠
[الوجه] الثالث : [حذواً بالعلماء الأعلام] ١٠٦
[الشيخ الصدوق قدس سره] ١٠٦
[السيد المرتضى قدس سره] ١٠٧
[العلامة المجلسي قدس سره] ١٠٨
[المقدّس الأردبيلي قدس سره] ١٠٩
[المحقق الخوانساري قدس سره] ١٠٩
[الملّا محسن الكاشي قدس سره] ١١٠
[الملا مهدي النراقي قدس سره] ١١٣
[الشيخ الحسين النجفي قدس سره] ١١٤

[إشكالات وردود] ١١٥
[لماذا خطَّأ الشيخ تثبرُّ الملَّا محسن والملَّا صدرا ؟] ١١٦
[هل حكم الشيخ بكفر الملَّا محسن والملَّا صدرا ؟] ١١٩
[لماذا لا يجري في كلامه ما جرى في كلامهم ؟] ١٢١
[المراد بالجسد العنصري] ١٢٣
[الأئمة هم العلة الفاعلية] ١٢٩
[معنى العلم الحادث] ١٣٨
[المعراج الجسماني] ١٤٤
[النهج الصَّحيح عند العلماء الأعلام] ١٤٦
[معتقدات المدرسة] ١٥٢
[وفي الختام] ١٥٧
مصادر التحقيق ١٥٩
الفهرست ١٦٣

الناشر
لجنة إحياء تراث مدرسة
الشيخ الأوحد الإحسائي

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٣ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب : ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٩ - ٠٣/٥١٤٩٠٥ - بيروت لبنان